"العريش...سنوات الحب والحرب"

د. صلاح سلام

"الفهرس"

١- السلاح والسجن

٢- يوم الخبيز

٣- الهجانة

٤- الشهيد مصطفي حافظ

٥- بين التهجير والقتل

٦- دينا

٧- فطيرة الشتاء

٨- بلد شهادات

٩- ام سمير

١٠- صاحب المقام الرفيع

١١- النبي ياسر

١٢- المزاد

١٣- عسل وطحينه

١٤-حالة ولادة

١٥-راديو زمان

١٦-عصاية الغلية

١٧-الخطاب الأخير

١٨-ليله العمر

١٩-أربعة في مهمه رسمية

٢٠-في بيتنا رجال

٢١-المنتزه

٢٢-للموت قصه اخيرة

٢٣-انيس عبدة

٢٤-العم يعقوب الحلاق

٢٥-لماذا غزه

٢٦-سد الوادي

٢٧-نظرات الجوع

٢٨-طاسة الخضة

٢٩-سر الشاشة السوداء

٣٠-فارس عبر الحدود

٣١-البوليس الدولي

-٣٢

السلاح والسجن

عندما تأكد الرجال ان الهزيمة اصبحت واقعا بعد اقل من ٧٢ ساعة من بدأ القتال في يونيو ١٩٦٧ حيث صدر قرار الانسحاب من سيناء كان في كل بيت اكثر من قطعة سلاح و صناديق الذخيرة تملأ الشوارع محملة على العربات الزل الروسي وفي كل بيت ايضا عددا من الجنود والضباط والطيارين يحاولون اخفائهم وعمل بطاقات مدنية لهم حتى يتمكنوا من السفر اما علي ظهور الجمال الى بئر العبد ومنها الى بحيرة البردويل ثم الى بورسعيد او عن طريق الضفة الغربية الى الاردن...وعندما فكر اخوتي في اخفاء السلاح وضعوه في كيس من الخيش بعد وضعوا كمية من الزيت عليه وربط الكيس بحبل سميك وتم تعليقه في بئر الصرف الصحي ودفن طرف الحبل تحت الارض بحيث يتم استخراجه في اي وقت اذا انسحب اليهود كما حدث في ١٩٥٦ ومازلت اذكر هذا المشهد كانه بالأمس...ولكن ظنهم قد خاب...وبعد مرور سنة تقريبا وبعد ان سافر الضباط والجنود زملاء اخوتي في القوات المسلحة الذين اقاموا معنا في البيت لأسابيع واخوتي معهم ولم يبقى الا المدنيين اخي اسماعيل الذي كان يعمل بالتعليم ومن يليه سعيد وكان طالب ثانوي وانا واختي مازلنا في المرحلة الابتدائية...تم استخراج هذا الكيس وبه السلاح ليلا حيث اتفق اخي وخالي مع وسيط "عبدالله" على تسليم السلاح الى فدائي منظمة سيناء العربية وخرجوا يحملون الكيس ليلا ليضعوه في السيارة التي كنا قد اشتريناها بالشراكة مع خالي وابو جزر ليعمل عليها احد السائقين وتكون مصدر دخل الى جانب محل التجارة الذي كان قد فتحه اخي الاكبر حيث ترك الوظيفة والاصغر حيث ترك التعليم مؤقتا وعندما وصلوا الى الجراج الذي كان بجوار مسجد القرماني اي في اخر شارعنا وهموا بالخروج بالسيارة

ومعهم الطرف الثالث انقضت عليهم دورية اسرائيلية فاعتقلتهم وحرزت السلاح وصادروا السيارة.. وفي اليوم التالي شاهدنا عبد الله في السوق وكأن شيئا لم يكن.. واتضح الامر ..انه كان عميلا...وبعد معاناة شديدة استطاعت السيدة وهيبة "امي" مع اخي سعيد الذي حمل المسئولية صغيرا مع محامي من غزة اخراج السيارة من الحجز لتعود تعمل فهي تعول ثلاث أسر وتحمل اخي سعيد مسئولية المحل التجاري وهو ابن الثمانية عشر عاما وانا معه...وحكمت المحكمة على اخي بخمس سنوات مع الرأفة ولكن امي لم تهدأ وذهبت للحاكم العسكري اكثر من مرة ولم يقابلها ولكنها لم تيأس الى ان سمحوا لها بالدخول وانا معها وقالت ياخواجة ان ابني مسئول عن اسرة ولديه طفلين ونحن جميعا في رقبته وهو يعرف المسئولية فقد كان معلما وطبعا كانت تتكلم بالعامية وان الرجل الذي كذب عليكم لينال المكافأة وتقصد "عبدالله" كان متفقا معه وخاله على ان يسلم السلاح لكم ولكنهم فوجئوا بانكم قبضتم عليهم...فقال لها ياست ابنك وخاله معترفين...فقالت هذا اعتراف مزيف لانه تحت التعذيب وكانت تبكي وانا اقف بجوارها ماسكا طرف ملايتها السوداء فبكيت لبكائها فأمر عيزرا الحراس بإخراجنا وظلت وهيبة "ياسمين" تدعي عليهم بأعلى صوت ربنا ينتقم منكم ربنا يورينا فيكم يوم ربنا ياخدكم وهي عائدة على ادراجها حتى عدنا الى البيت مشيا على الاقدام طبعا حيث كان مقر الحاكم العسكري الاسرائيلي قرب محطة سكة حديد العريش وبالتحديد في المدرسة الثانوية الصناعية على مقربة من شاطئ العريش...وعندما ذهبت امي مع زوجة اخي اسماعيل لزيارته في سجن المجدل قبل ان ينقلوه الى سجن غزة...قالت له يجب ان تطلب اعادة التحقيق وسوف يقوم المحامي بتقديم طلب بذلك واطلعته على ما حدث في زيارة الخواجة عيزرا... وفعلا نفذ ذلك وبعدها بشهرين تقريبا ذهبت وهيبة مرة

اخـرى الـى الحـاكم العسـكري حاملـة ابنـاء اخـي الصـغار واصـطحبت زوجتـه وطلبـت المقابلـة وادخلوهـا علـى مسـاعده واعـادت الكـرة مـرة اخـرى طالبـة الافـراج عنـه لأنـه غيـر مـذنب وانـه تـم خداعـة والا علـيكم ان تتكفلـوا بالصـرف علـى هـؤلاء الاطفـال ونحـن معهم...وكانـت تـتكلم بتلقائيـة والكلمـات يقطعهـا البكـاء وهـي تحمـل احـد احفادهـا والاخـرى مـع امهـا وانـا اقـف بينهمـا ارمـق الحـراس المـدججين بالسـلاح والـذين اخرجونـا هـذه المـرة بـالقوة.. ومازالـت وهيبـة تتمـتم وتلهـج بالـدعاء علـيهم وهـي تمسـح دموعهـا بمنـديلها الـذي لـم اراه يومـا مطويـا مربعـا او مثلثـا كمـا كانـت تضـعه لـي وانـا ذاهـب الـى المدرسـة وانمـا منكوشـا كأنمـا هـو ايضـا قـد اختـل نظامـه ولـيس حياتهـا فقـط.. فقـد كـان اسـماعيل سـندها حيـث سـافر البكـري ابـراهيم مـع زملائـه فـي الجـيش بعـد رحلـة شـاقة اسـتمرت اسـبوعين الـى بورسـعيد ثـم لحـق بـه اولاده واولاد اخـي احمـد غيـر الشـقيق والـذي كـان معـه فـي نفـس السـلاح سـافروا مـع اول فـوج يحملـه الصـليب الاحمـر الـى غـرب القناة...ولاشـك ان جهـود وهيبـة مـع المحـامي واعـادة التحقيـق والتشـكيك فـي العميـل جـاءوا بنتيجـة فقـد تـم الافـراج عـن اخـي وخـالي محمـد بعـد نصـف المـدة فـي عصـر اخـر يـوم فـي رمضـان ١٩٧٠ حيـث فـو جئـت بـه امـامي ينـزل مـن تاكسـي اجـرة قادمـا مـن غـزة وانـا اقـف امـام الـدكان يطلـب منـي ان اعطـي السـائق الايجـار وانـا اتعلـق برقبتـه احضـنه واقبله وشاءت الاقدار ان تكتمل فرحتنا بالعيد...

يوم الخبيز

كان الفرن الطيني الذي يقبع في اقصى يمين الدار تحت عريشة خشبية يغطيها جريد النخيل هو مصنع المعجنات في بيت الحاجة وهيبة "ياسمين" حيث يتم انتاج الخبز البلدي و"البيتزا "والكعك والقرص السادة وقرص "بتشديد الراء" العجوة والكماج والاخير هو اشبه بالرغيف، ولكنه معجون بكثير من الزيت او السمن.. واحيانا يتم تسوية بسكويت النشادر...حيث تتبوأ الحاجة وهيبة مقعدها امام الفرن في ساعات الصباح الاولى وربما تنتهي بعد اذان العصر ..هذا اليوم تسبقه بعض الطقوس واولها ان اذهب لانبه على الجيران بطول الشارع ان يقوموا بتحضير العجين فغدا سوف نشعل نيران الحب والود والخبز ايضا.. فيستجيب من يريد وتبدأ امي بتحضير كمية من الاخشاب وجريد النخل ويقوم احد الاخوة بتقطيعها لتناسب دخلة الفرن حيث منطقة الاشعال من فوهة كبيرة نسبيا تحت" العرصة" وهي دائرة اسمنتية بها جزء مشطوف يسمح بمرور النيران من اسفل الى اعلى لتسوية سطح الخبز او اي محتويات توضع عليها ويعلوها القبو الطيني الذي يحتوي على فتحة صغيرة للتهوية والتي كانت تضع عليها الحاجة وهيبة "ياسمين" الحنونة بتسكين النون الأولى "البيتزا" حيث انها عبارة عن رغيف من العجين الدائري سميك الاطراف ويتم كسر بيضتين على سطحه مع الفلفل الاسود والملح ويترك على النار الهادئة على "الشاروقة" وما ان تنضج تضع حلة العدس حيث لاطبيخ اليوم فهي مشغولة بقيادة سيمفونية الخبيز لنا وللجيران حيث تمسك في يدها عصا الموسيقار وهي عبارة عن سيخ حديد معكوف الطرف تمسكه بقطعة قماش وفي نهايته انثناءة خفيفة ليصبح كالخطاف "المصماع" لجذب ارغفة العيش الساخنة من داخل الفرن او صواني الكعك في ايام الاعياد...وهكذا يستمر العزف حتى

تستبدل كل زائرة طاولة عجينها بارغفة ساخنة شهية...ولا يجب ان ينتهي اليوم الا وقد صدر لي امر التكليف بان احمل عينات من العيش الطازج الى حبايب امي من الجيران الذين لم يشاركوا في مهرجان الخبيز فليتذوقوا نشوة الاستمتاع بحلاوة لحن الوفا....ويتكرر اليوم ذاته في مكان اخر وفي يوم اخر ولكن ليس بنفس الطعم ولا التحضيرات فلاشئ سوى ملئ الاناء الفخاري المخروطي الشكل "اللقان" بالعجين وتحويله الى كرات صغيرة على طاولة خشبية وارساله الى الجيران ليعود خبزا...استعرضت هذا المشهد وعدت بذاكرتي عقودا وانا ارى مهجري قطاع غزة قرب رفح وسيدة تجلس امام نفس الفرن الطيني وتمسك نفس السيخ الحديدي وسيدة اخرى تشعل النار بالحطب وحولها النسوة بطاولات العجين والاطفال يتخاطفون بعض من الخبز يأكلونه بنهم الجائع وينظرون الى عين الفرن بشغف ولهف... نعم ربما يكون نفس الفرن ولكن مع الفارق...فالأول تحت الفقر لكن بكرامة.. والثاني تحت القصف والخوف والجوع والحرمان...وكلاهما يثير الشجن ولكن بدرجات...

ديسمبر ٢٠٢٣

الهجانة

على شاطئ العريش عندما كنا نذهب للمصيف في الستينات قبل حرب يونيو١٩٦٧ والذي هو في الحقيقة معسكر عمل لجمع البلح ومخلفات النخل من جريد وخلافه ..عندما يأتي المساء لم تشأ نجوم الليل تظهر كما قال محمد عبد الوهاب ..وانما جمال بكسر الجيم يركبها رجال شداد غلاظ يمشطون شاطئ البحر جيئة وذهابا وكانوا جميعا ذو بشرة سوداء يلبسون اللبس الميري ويحمل كل منهم في يمينه كرباج ودائما هناك عدة شحطات افقية في جلد الوجه ما بين العين والاذن كما لو كانت كي واللهجة سوداني وهم ضمن كتائب الهجانا وهو ما يعرف الان بسلاح الحدود اوربما كانوا جزء منه ولكن لم نكن نرى الا هؤلاء الرجال الذين كانوا يمنعون تواجدنا قرب البحر اذا حل المساء...ولاشك ان جنود الهجانة كانوا من بقايا مملكة مصر والسودان حيث كانت السودان تخضع للتاج الملكي قبل ثورة ١٩٥٢ ولكنها كانت تتمتع بحكم ذاتي ثم اصبحت دولة مستقلة ولكن اعتقد ان من عاش منهم في مصر لم يود العودة الى السودان ومنهم هؤلاء الرجال الذين انخرطوا في الجيش وظلوا فيه ولكن يبدوا ايضا انه يتم اختيارهم لهذه المهمة بمواصفات خاصة تحمل شيئا من الغلظة والقوة...وحتى لا يلتبس الامر هناك فرق بين سلاح الهجانة الذي كانت اهم اهدافه منع تهريب المخدرات والسلاح وربما اشياء اخرى لان مدينة غزة كانت منطقة حرة مثل بورسعيد ايام عزها فيها كل المستورد ومتاخمة لسيناء.. في حين كانت مصر عبد الناصر مغلقة على الانتاج المحلي.. ومن يسعده الحظ ويسافر الى غزة بالقطار يعود محملا بتجهيزات العرائس من الصيني والاكواب الكريستال واطقم المائدة الستانلس والراديو الترانزستور

ومستلزمات البيت العصري وقتها، ولكنها كانت تخضع للجمارك ومن المؤكد انه كان يتم تهريب عن طريق البر والبحر فكان منع هذا ايضا مضاف الى مهامهم الاخرى.. ولكن لفت نظري انهم جميعا تقريبا من ذوي البشرة الداكنة.. ربما لقوة تحملهم المشي في الصحراء مع الجمال...ولعدم الخلط فالهجانة غير الهجناه والاخير هو اسم عصابة مسلحة من السفاحين كان يرأسها مناحم بيجين والذي اصبح فيما بعد رئيس وزراء اسرائيل وزعيم حزب جاحال والذي تغير فيما بعد واصبح حزب الليكود ..تلك العصابة التي بقرت بطون النساء الحوامل في مذبحة دير ياسين وهي احد المذابح الشهيرة التي ارتكبها الصهاينه في حق الشعب الفلسطيني ليترك ارضه في اربعينات القرن الماضي...وتطورت الهجانة فيما بعد حيث اصبحت سيارات الدفع الرباعي وسيارات الجيب ذات القدرات العالية تستطيع ان تجوب الشواطئ والصحاري من خلال سلاح خاص "سلاح الحدود" واصبحت الهجانة رياضة يقام لها احتفال سنوي وربما اكثر واتحاد رياضي ومسابقات محلية وعربية وتعرف بسباقات الهجن.. لتنسينا الكرباج وذاك الرجل الاجش الذي نخاف ان نقترب منه ونحن نلعب على شاطئ العريش شبه الخالي من البشر في منطقة الريسة حيث تقبع شجرات النخيل حيث الظل والعريشة والمصيف وجني الثمار ونركض بعيدا حتى لا يصل الينا طرف كرباجه والذي كان على ما يبدو هو سلاحه...

الشهيد مصطفى حافظ

هو ميدان في الاسكندرية ربما لا يعرف ساكنيه من هو ذلك الرجل وشارع في مصر الجديدة عرفته بالصدفة وتمثال في غزة دمره الاسرائيليين عندما احتلوها في يونيو ١٩٦٧ انه الشهيد العميد مصطفى حافظ والذي استشهد في يوليو ١٩٥٦ وليس اثناء العدوان الثلاثي.... ذو الاربع والثلاثون عاما والحاصل على ترقيتين استثنائيتين ...ذلك الشاب الذي درب كتائب الفدائيين بعد ان انضم قطاع غزة الى مصر عام ١٩٤٨ بعد قرار التقسيم وظل شوكة خانقة في حلق كل اجهزة الامن الاسرائيلية وحاولوا مرارا الانقضاض عليه، ولكنهم فشلوا وكان لابد من خطة محكمة لاغتياله بعد ان أصبح حديث رئيس اركان جيش العدو وقتها موشى ديان ورئيس الوزراء ديفيد بن جوريون هذا القائد الشاب ورجاله... فقد أرقت العمليات التي يقوم بها الفدائيون بنجاح والعودة مضجع الاسرائيليين.. واجتمعت اجهزة الامن الاسرائيلية الممثلة في الشاباك والموساد وغيرها لوضع خطة اغتيال هذا الثعلب...ومن كتاب يوسف ارجمان وهو يهودي ("ثلاثون قضية استخباراتية وامنية في اسرائيل") وحسب رواية جريدة معاريف الاسرائيلية...انه تم اقناع العميل المزدوج وهو من عرب بئر السبع ويدعى "عامر طلاقة" بحمل طرد فيه الرسالة المفخخة وهو عبارة عن كتاب" كفاحي "لهتلر وقد تم اعداد الطرد بمعرفة شخص محترف من منظمة أيتسيل الارهابية وهم الذين كانوا يعدون الطرود المفخخة ويرسلونها الى الضباط الانجليز لإبعادهم ان ارض فلسطين لتكون لهم الكلمة العليا... واقنعوه ان هذا الطرد يحمل شفرة وعليه ان يضعه في مكان بمقابر غزة وسوف يحضر شخص اخر يلتقطه ويسلمه الى شخص مهم من رجالهم وهو العقيد لطفي العكاوي قائد شرطة غزة وهو اليد اليمنى لمصطفى حافظ....واقنعوا طلاقة ان

العكاوي يعمل معهم وان الشفرة تغيرت ولابد ان تصله الشفرة الجديدة وكان كل الخوف ان يقوم هو بفتح الطرد والرسالة لذلك اطلعوه على الكتاب قبل التفخيخ ليتصفحه وتم استبداله بالنسخة المطلوبة في طرفة عين...كان يقينهم لا يتزعزع ان طلاقة سوف يسلم الطرد بنفسه الى مصطفى حافظ ليكشف له خيانة صديقه والذي كان دائما يشيد به ولن يترك الفرصة تفوته ولن يتركه في المقابر كما اشاروا عليه... كنوع من التكليف المقنع "بتشديد القاف"...وقد كان لهم ما ارادوا و حملته سيارة جيب الى قرب الحدود واسرع طلاقة ليسلم القائد العائد لتوه من الاجازة الصيد الثمين الذي بين يديه وقام بفتح الطرد في مكتبه وهو بجواره فانفجر فيه وكان يقف على مقربة منه الضابط عمر الهريدي وطلاقة نفسه ليقضي القائد نحبه بعد ساعات وتصعد روحه الطاهرة في فجر يوم ١١ يوليو١٩٥٦ ويصاب الضابط بإصابات بالغة اقعدته... ويفقد طلاقة نظره واصابات في وجهه.. ويتم التحقيق مع لطفي العكاوي وتفتيش منزله وبالطبع لم يجدوا فيه أثر لذلك الادعاء الذي كان مهما للحبكة المخابراتية ولتأكيد الوصول للهدف... وقالت زوجته" السيدة نبيلة ان السيد لطفي قد عاد الى منزله بعد الفجر وملابسه مخضبة بالدماء حيث انه كانن ذو بنية قوية فقد حمل الشهيد وهو مضرج في دمائه وهرع به في سيارته الى المستشفى ولكن القدر شاء ما اراد ليلقى ربه.... وجدير بالذكر ان قوات العدو عندما دخلت العريش في يونيو ١٩٦٧ كانت تبحث عن العكاوي والذي كان في العريش وقتها وقد اختبئ في منزل شبه مهجور على مقربة من بيت اخيه اسماعيل فعائلة العكاوي جزء منها يحمل الجنسية المصرية وجزء اخر يحمل الجنسية الفلسطينية مثل عائلات كثيرة في سيناء واطلق لحيته وغير بطاقته الى مهنة تاجر بعد ان ارتدى قفطان فلسطيني وعقال ومرير وسافر خلسة الى الاردن بمساعدة بعض

الفـدائيين...ومما يـذكر ان خبـر استشـهاد العميـد مصـطفى حـافظ جـاء فـي الاهـرام فـي كلمـات مقتضـبة حيـث كتبـت انـه تـوفى اثـر ارتطـام سـيارته بلغـم ارضـي فـي غـزة ...وتبقـى الحقـائق للتـاريخ.. حيـث مـن حقـه علينـا ان يعـرف القاصـي والـداني ان اسـرائيل رصـدت وقتهـا مبلـغ يعـادل المليـون دولار "مـائتي وخمسـون ألـف جنيـه" وقتهـا لاغتيالـه بـرغم ان خليـة لافـون التـي تـم اكتشـافها فـي مصـر ١٩٥٤ لـم تكلفهـم سـوى بضـع الاف مـن الـدولارات واغتيـال الكونـت برنـادوت المبعـوث الـدولي الـى فلسـطين فـي أحـد شـوارع القـدس سـوى ثلاثمائـة دولار.... ولكـن كتيبـة الفـدائيين التـي شـكلها فـي مواجهـة الكتيبـة ١٠١ والتـي كـان يرأسـها ايريـل شـارون ويهـاجم بهـا القـرى الفلسـطينية بالإضـافة الـى العمليـات النوعيـة التـي كـان يؤديهـا الشـهيد البطـل مـع رجالـه ويعـود سـالما وكأنمـا كـان يضـع طاقيـة الاخفـاء وهـي الاسـطورة التـي تـنم علـى صـعوبة الوصـول اليـه...ورحل الجسـد وبقـت السـيرة والبطولـة تحملهـا اسـرته واحفـاده ويفتخـرون بـه وشـعب مصـر كلـه، بـل و نفـر غيـر قليـل مـن شـعب فلسـطين ايضـا تعلـوا هامـاتهم واصـواتهم بالـدعاء لـه كلمـا ذكـرت سيرته...

الشهيد البطل / مصطفى حافظ

ولد يوم 25/12/1920

استشهد في غزة ليلة 11/7/1956

بين التهجير والقتل

بعد انتهاء حرب يونيو ١٩٦٧ وانحسار المقاومة بشكل كبير ..بدأ العدو الاسرائيلي في تقوية خطوطه الامامية على الضفة الشرقية لقناة السويس وبناء خط بارليف ونظرا لما كان يمتلكه من التفوق الجوي بعد ان دمر الكم الاكبر من مطاراتنا بضربته الاستباقية فقد دان له ما يريد ...وبدأ جنود الاحتلال في خلع قضبان السكة الحديد الواصلة من العريش الى القنطرة والفلنكات الخشبية لاستخدامها في سقف خنادقهم ولكي تكون تحركاته ومواقعه سرية في شرق القناة ..فقد قرر تهجير سكان القنطرة شرق الى مدينة العريش وقد تم حشرهم في بعض عمارات الاسكان الشعبي والذي انشأه النظام الناصري في معظم محافظات مصر والذي لم يكن يستهوي اهل سيناء لانهم يحبون عيشة البر والبراح والمنازل الواسعة ..فقد كانت هذه العمارات شبه خالية.. وحاول المهجرين الاندماج في المجتمع برغم الاختلاف النسبي في العادات والتقاليد وان كانت القنطرة شرق تتبع اداريا محافظة سيناء ..فلم تزل سيناء محافظة واحدة من شاطئ القناة الى طابا ومنها الى العريش مرورا بساحل البحر الاحمر والحدود مع فلسطين المحتلة ثم البحر الابيض المتوسط...والغريب انني رأيت نسخة طبق الاصل من هذه المساكن الشعبية في عدن التي كانت عاصمة اليمن الجنوبي في نفس الحقبة من ستينات القرن الماضي.. وقد وفدت الى العريش اسرة مسيحية ذات طابع خاص شابين احدهم مدرس ورياضي يدعى الاستاذ نزيه والذي عاش طوال فترة الاحتلال في العربش ثم انتقل الى غزة بعد تحرير سيناء وعاش بها واخته الوسطى ابتسام والتي كانت اكثر تحررا من بنات جيلها حيث كانت تلبس الميني جيب وبالطبع بلا غطاء رأس وكانت

ذات جمـال واضـح وزي لافـت.. فمعظـم البنـات والسـيدات يرتـدين زي محـافظ وغطـاء راس احيانـا صـحيح لـم يكـن حجابـا ولكنـه كـان زيـا مسـتوردا مـن العـادات الفلسـطينية "دايـر وقنعـة" جيبـة سـوداء واسـعة طويلـة وغطـاء رأس اسـود مـن نفـس القمـاش فـي شـكل اللـبس السـعودي وان كـان بعـض الفتيـات يتمـردن عليـه ويتـركن غطـاء الـرأس ينـزل علـى الاكتـاف... وكانـت ايضـا جريئـة فتتحـدث مـع الكـل وتمـازح مـن يـروق لهـا ..ولكنهـا فـي وسـط كـل هـذا كانـت ذات سـمعة طيبـة ولـم يجـرؤ احـد يومـا ان ينعتهـا ولـو بـنص كلمـة خارجـة... ولكـن للأسـف انهـا توفـت منتحـرة فـي ظـروف غامضـة...وقيل ان احبـت احـد ضـباط الشـرطة مـن المحتلـين وعنـدما رفـض اخوتهـا والكنيسـة الـزواج منـه اقـدمت علـى ذلـك ولكـن الروايـة الحقيقيـة لا يعلمهـا الا الله ..امـا الاخ الاصـغر مجـدي فقـد كـان شـعبويا وصـادق معظـم ابنـاء جيلـه واشـتغل فـي كـل الاعمـال الحـرة بعـد ان قضـى قسـطا مـن شـبابه فـي اشـهر مطـاعم العـريش تحـت الاحـتلال"، مطعـم ولـيم "صـاحب اشـهر سـاندويتش مـر علينـا ويـذكره كـل ابنـاء جيلنـا.. وانتقـل مجـدي الـى مدينـة الشـيخ زويـد بعـد اسـتراد العـريش ١٩٧٩ وظـل يعمـل بهـا الـى ان تـم تحريـر سـيناء كاملـة ١٩٨٢ وكـان يعمـل بالتجـارة وظـل كـذلك حيـث كـان يتمتـع بعلاقـات اسـرية ومحبـة خاصـة بـرغم ان هـذه المدينـة يشـغل معظمهـا قبائـل اشـد تحفظـا مـن الاسـر التـي تسـكن العـريش ولكـن مـع الوقـت اسـتوطن بهـا عـدد غيـر قليـل مـن الوافـدين مـن كـل مـدن الجمهوريـة بحكـم العمـل والوظائف...وظـل مجـدي بهـا حتـى ثـورة ينـاير ٢٠١١ حيـث بـدأ الانفـلات الامنـي والـذي عانـت منـه شـمال سـيناء اشـد معانـاة واسـتمرت السـيولة الامنيـة وظهـرت الجماعـات المتطرفـة والمحـاكم الشـرعية وجماعـات تتبـع التوحيـد والجهـاد واخـرى تتبـع التكفيـر والهجـرة وثالثـة هـم اهـل السـنة والجماعـة وانصـار بيـت المقـدس ولـم يكـن للشـرطة وجـود فـي منـاطق الشـيخ زويـد

ورفـح تقريبـا وفـي العـريش موجـودة خلـف الاسـوار...ثم حـدثت ثـورة ٣٠ يونيـو واشـتد التطـرف وزاد الهـرج والمـرج و الرغبـة فـي الانتقـام واصـبح القتـل فـي الطرقـات واسـتهداف المسـيحين بالقتـل المباشـر اصـبح هـدفا لهـذه الجماعـات والتـي لا اعـرف مـن ايـن اتـوا بفتـواهم التـي تبـيح قتـل اهـل الكتـاب وقـد اعتـدوا علـى مجـدي فـي محلـه وفـي وسـط السـوق وقطعـوا رأسـه.. وهنـا بـدأت مأسـاة جديـدة فـي شـمال سـيناء اسـتهدفت عـدد غيـر قليـل مـن الاسـر المسـيحية والـذين اضـطروا للنـزوح الـى بـلاد الله الواسـعة فـي انحـاء الجمهوريـة وقـد حرصـت ان اكـون فـي اسـتقبالهم فـي الاسـماعيلية وقـد تلاقينـا بالأحضـان فقـد كـان معظمهـم يعرفنـي معرفـة شخصـية وعائليـة.. هكـذا شـاءات الاقـدار ان اكـون فـي بعثـة رسـمية مـن المجلـس القـومي لحقـوق الانسـان لتقصـي حقيقـة مـا حـدث بعـد ان تـم اختيـاري عضـوا فيـه بعـد ثـورة ٣٠ يونيـو وكـان معـي بعـض الاعضـاء الـذين أدهشـهم كـم الـود بينـي وبـين معظـم تلـك الاسـر.... وربمـا يـأتي يـوم نحكـي فيـه عـن حقيقـة مـا حـدث فـي سـيناء قبـل٢٠١١ مـن مقـدمات ومـا بعـدها ثـم ٢٠١٣ وسـنوات الارهـاب التي دمرت الاخضر واليابس...

دينا

ابكي تحت الليالي والخوف ملو الضلوع قلبي يا بلاد غريبة بتنورها الدموع... لغاية هنا وكلام الابنودي خلص لما كان بيتكلم عن احضان الحبايب ورميت نفسك في حضن سقاك الحضن حزن...لكن البكاء اليوم مختلف فالدموع تتحجر في الجفون وتأبى النزول وليتها تفعل لتغسل الاحزان.. فوراء كل صاروخ حكاية وتحت كل قذيفة تطلقها طائرات العدو الغاشم قصة وهناك اكثر من خمسين الف حكاية ... فقد كانت دينا حكاية.. هي ابنة صديقي ورفيق رحلة سنوات مضت اثناء الاحتلال الاسرائيلي كمال الدرة حيث كان شغلنا الشاغل هو الحديث الذي فرض نفسه.. كيف سوف نكمل تعليمنا في القاهرة بعد الثانوية العامة،؟ حيث السفر مع الصليب الاحمر والانقطاع عن الاهل طوال عام كامل اذ لابد ان نعمل بأقصى طاقة ممكنة لنوفر مصروفات العام...وكنا نتعكز على بعضنا البعض حتى يمر العام وكان حديثنا الشاغل هل سوف يأتي اليوم الذي نتزوج فيه من احببناهم في سنوات العمر الجميلة الحالمة والتي كانت ترسمها لنا اغاني عبد الحليم وافلامه ورومانسية عمر الشريف ورقة وعذوبة فاتن حمامة وابتسامة عيون وشفاه السندريلا سعاد حسني... فقد كانت احلامنا تسابق اعمارنا وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجساد.. فكم جلسنا نهيم تحت سفح هواء صيف شاطئ العريش حيث يخترق هواه العليل مسامات اجسامنا البريئة ويغوص في كهوف خلايانا فيختبئ بين طياتها ليظل يعيش فينا ...تخرجنا وفرقتنا الايام وتزوجنا ومنا من نال من احب في سنوات عمره الاولى ومنا من تعثر وصادفته الايام بنصيب اخر وكان

كمال ممن نال ما اراد وانجب صبيانا وبناتا وكان الحديث بيننا موصول برغم شقة المسافات سواء من الاحتلال حيث عاش مضطرا في غزة او

ما بعده.. وذات مساء هاتفني ليقول لي ان دينا ابنته قد فازت بمنحة لدراسة الطب في السودان بعد ان حصلت على مجموع عالي وفازت بمسابقة حفظ اجزاء من القران وكاد يطير فرحا بها فهي الوحيدة من بين ابنائه التي استطاعت ان تحقق حلمه وهي اصغر ابنائه...ودار بيننا حديث كما كان يدور بيننا في اوقات الشدة في السنوات العجاف حيث صعوبة الوضع والحياة في غزة وانه بقدر فرحته بدينا بقدر خوفه ان لا يستطيع ان يوفي لتكمل تعليمها ووقتها رأيت دموعه تسبق كلامه فقلت له لا تقلق يا عزيزي ستكمل دينا كليتها كما اكملنا نحن اتذكر كيف كنا نقتسم ما في جيوبنا؟ .. وعادت ضحكته الخجولة وقابلت دينا في القاهرة اتية من غزة ومغادرة الى السودان وكان اول لقاء لها بي وكنت على عجلة من امري ففي نفس اليوم كان ابني الاكبر يجري جراحة استئصال المرارة.. وكانت سبحان الله اقرب في الشبه الى اباها وسلمت علي بالأحضان وكأنها تعرفني منذ ولدت.. واذكر كلماتها جيدا "حسيت فيك ريحة ابوي" وقالت ان ابي دائما كان يحكي لنا عن سنوات العريش والدراسة بالقاهرة وكان الحديث لا يخلو ابدا من سيرتك....وظلت طوال سنوات الدراسة على اتصال دائم بي فقد اعتبرتها ابنتي وخاصة انها دخلت نفس مجال عملي وكانت تطوي السنين وتحاول الا تسافر في الاجازات حتى توفر المصاريف وقد شاءت الاقدار ان يتحقق الامل وتجتاز دينا سنوات الدراسة وتحمل بكالوريوس الطب والجراحة وفي حديث تليفوني قالت لي اسمح لي ان اقطع تذكرة للقاهرة ثم الى غزة فقد اشتقت الى اهلي وسوف ادبر ثمن استخراج الشهادات فيما بعد حيث ستبدأ بعد اجازة قصيرة التدريب العملي لسنة الامتياز

ثم تحصل بعد ذلك على ترخيص مزاولة المهنة وتبدأ مشوار الحياة العملية ثم التخصص .. ومن فرط حساسيتها وشدة ضغط الدراسة والغربة اصيبت بمرض السكر حيث انزعجت كثيرا من الاعراض وهي لم تزل طالبة في بكالوريوس الطب ولكن عامل الوراثة كان حاكما فقد كان جدها لابيها ولامها من مرضى السكر وقد حاولت شد أزرها قدر ما استطيع وتحدثت الى احد اكبر اساتذة الغدد الصماء بالسودان الذي أحسن استقبالها وبدأ معها رحلة ضبط السكر وتهدأة روعها.. وكانت في تلك الايام قد استكملت حفظ القران مما خفف عنها صدمة المرض...وعادت دينا الى غزة لتبدأ سنة الامتياز في احضان والديها الذين طاروا الى السماء فرحا بها وانا كذلك شعرت ان هذه هي ابنتي التي لم انجبها فقد تعلقت بي وتعلقت بها.. حيث انني لم ارزق ببنات...وقبل الحرب بأيام اخبرتني انها على وشك انهاء عام التدريب في نهاية فبراير القادم وسوف تبدأ في دراسة تخصص الامراض الجلدية كما أوصيتها وتتخصص في التجميل...ولكن القدر كان له راي اخر ..فقد اطفأت قنابل العدو الغاشم نور زهرة تتفتح.. فقضت عليها وعلى اسرتها فادمت قلبي تلك الفتاة الصغيرة التي كانت لي بنتا وكنت لها ابا تحبه كما تحب كمال الذي انجبها.. وكانت دائما تفتخر ان لها ابوان احداهما مهندس انجبها واخر طبيب رعاها...ماتت دينا قبل ان يكتمل حلمها...ماتت دينا قبل ان ارى ثمرة الكفاح تنضج...ماتت دينا ولم اراها واباها الحبيب.. ماتوا بلا جنازة ولا كفن ماتت الزهرة اليانعة وتحجرت الدموع في المأاق وسقطت الانسانية وهوت كل قوانين العدالة على اعتاب وطن يئن من ظلم انسان فاجر لأخيه الانسان المغبون وعند الله يلتقي الخصوم..

٣ ديسمبر ٢٠٢٣

فطيرة الشتاء

يـارب تشـتي واروح لسـتي تخبزلـي فطيـرة اكلهـا وانـام زي الحمـام.... تلـك هـي الاغنيـة التـى كنـا نحفظهـا ونغنيهـا نشـيدا شـتويا مـع بدايـة قطـرات زخـات المطـر ونحـن فـي عمـر البـراءة ولا اعـرف لمـاذا كنـا نـربط الشـتاء بـالفطير.. غيـر اننـا كنـا نجلـس فـي صـحن الـدار فـي شموسـة الشـتاء حيـث تضـع الحاجـة وهيبـة "ياسـمين" الصـاج الحديـدي الاسـود والـذي يأخـذ الشـكل الـدائري المحـدب فهـو يشـبه القبـو حيـث ترفعـه عـن الارض بثلاثـة حجـارة وتضـع الحطـب تحتـه وتشـعله وتقـوم باحضـار طاولـة العجـين الخشـبية المليئـة بقطـع تشـبه الكـرات الصـغيرة وتضـعها بجوارهـا وتقـوم بفردهـا واحـدة تلـو الاخـرى بعصـاة خشـبية "النشـابة" الـى ان تـرق بقـدر الامكـان ثـم تقـوم برفعهـا علـى كلتـا يـديها وتلفهـا لفـات دائريـة حتـى تصـبح اكثـر رقـة ثـم تقـوم بحـدفها علـى الصـاج السـاخن كأنهـا تلقـي شـبكة الصـيد علـى شـاطئ البحـر فتنضـج بسـرعة حيـث تظهـر بعـض الفقـاقيع البنيـة فـي وسـطها واطرافهـا لتلتقطهـا سـريعا وتضـعها فـي مشـنة مـن الخـوص ونحـن نجلـس ننتظـر هـذه الحفلـة ونسـاعد فـي دس قطـع الجريـد والليـف الـذي ادخرنـاه مـن حصـيلة رحلـة الصـيف الـى اشـجار النخيـل التـي ورثناهـا فـي منطقـة الريسـة...وما ان تنتهـي وهيبـة مـن حصـة الفطيـر تبـدأ فـي شـوي السـردين والـذي يكـون طازجـا ويـأتي فـي ايـام الشـتاء بكثـرة مـن صـيد بحـر العـريش وتبـدأ معركـة اجمـل واشـهى وجبـة مـع السـلطة العرايشـي التـي تشـع حرقـة مـن اثـر الفلفـل الاخضـر المحبـب الـى الصـغير والكبيـر والـذي يزيـد شـهيتها وتظـل رحـى هـذه المعركـة تـدور حتـى انتهـاء اخـر طرحـة سـردين وغالبـا يكـون معهـا معظـم مـا تـم اعـداده مـن الفطيـر واذا فـاض

فسوف يتم استهلاكه في وجبة العشاء حيث لا يوجد ثلاجات للحفظ ولا يمكن تركه لأيام كالعيش الخامر في المشنة العجيبة التي كانت تتوسط سقف غرفة البايكة والمعلقة بحبال حفاظا على محتوياتها من اي زواحف او فئران...كل هذا السيناربو دار بخلدي وانا احتسي فنجان القهوة الصباحي من خلف زجاج شرفتي وارى حبات المطر تداعب الارض الاسفلتية والخضراء في عاهرة المعز والتي تختلف تماما عن تلك الارض الطينية او الرملية التي كانت تتحول الى غدران "جمع غدير" تملأ شوارعنا حيث يستحيل احيانا المشي ومن يغامر قد يسقط اثر زحلقة الطين وربما يحدث ما لا تحمد عقباه ... حتى داخل البيت لولا وجود البراميل التي تضعها الحاجة وهيبة "ياسمين" وهي تشمر جلبابها المبلول وكأنها تستعد لمعركة مصيرية تحت المزاريب التي تجمع مياه الامطار من اسطح الغرف لتجمع مياه المطر حيث تستخدمه في الغسيل لاحقا لان مياه الحكومة كلها تأتي من الابار المالحة نسبيا.. ولتحافظ على ساحة البيت حتى لا تمتلئ بالماء فتصعب الحركة علما بأن البيت به شطر شرقي وشطر غربي وبينهما فراغ بلا سقف تتوسطه شجرة زيتون وشجرة ليمون.. فالشتاء بالنسبة لنا كأطفال كان اغنية ولكن للكبار كان مشقة فلا البيوت امنة حيث كانت تنهار اما جزئيا او كليا او تخترق شدة المطر احيانا الاسقف الطينية لتجد ان غرف النوم يتسرب من زواياها سيل او تنقيط نضع تحته اناء حديدي فلم يكن اختراع البلاستيك قد وصل الينا لنسمع سيمفونية قطرات المطر وننام على انغامها اما اذا هطل البراد "بفتح الراء" اي حبات الثلج والتي كانت احيانا تملأ طرقة منزلنا والازقة وجنبات الشوارع حيث كنا نتقاذفها لعبا وفرحا بسذاجة الاطفال فتلك كانت حكاية اخرى ولا اظنها تسقط الان فقد اختلفت جغرافية الارض وان كانت البيوت الاسمنتية الان تتحمل البراد والمطر دون الحاجة الى براميل الحاجة

وهيبة والحاووز الاسمنتي ولا ان تهرع في منتصف الليل لتسد مجرى الماء الذي اخترق الباب ليدخل الى قاع دارك ومع ذلك تأبى السماء ان تجود بما كان... هكذا كان زمن الستينات من القرن الماضي في مدينتنا العتيقة "العريش"

ارسل لي صلاح" الحفيد" صورة من نمر التيرم الاول والتي ليست بالأرقام وانما بالألوان وكل لون يدل على مستوى الطالب في المادة قرين اللون... وعادت بي الذاكرة الى الشهادات الورقية و"الكعك" وهو ليس كعك العيد ولكن هي الدوائر الحمراء على عدد الدرجات عندما يكون الطالب راسبا فيسألوه جبت كام كعكة واذا كان العدد كبير فتكون المزحة انك قد وفرت على اهلك عمل كعك هذا العام...والتفوق كان بمجموع الدرجات...وجال بخاطري ذاك الزمان وانا لم يسألني احد يوما ما عن الشهادة وما بها وهل تفوقت ام لا...وربما بحكم ان اخي كان احد رجال التعليم وقد رفض في البداية العمل ثم تعرض للاعتقال في سجون الاحتلال الاسرائيلي.. ربما كان يعرف عني الكثير من خلال زملاءه اما الحاجة وهيبة "ياسمين" فلم تكن تقرأ ولكنها فقط تتابع انني انتقلت من عام دراسي الى اخر دون ان تدخل في التفاصيل وكانت الشهادة تهمني انا فقط فكان التحدي الدائم لي ان اكون الاول وعندما يتأخر الترتيب الى الثاني او الثالث اكون حزينا او ربما غير راض عن نفسي ..هكذا بدون اي تدخل من احد الى ان جاءت الثانوية العامة وحصلت على المركز الاول ودخلت طب القصر العيني والذي شاهدت فيه عجائب الدنيا السبع...فبينما انا القابض على الجمر ...الذي بلا مأوى حيث تعثر دخولي المدينة الجامعية عامان.. ودخل محدود هو عبارة عن اعانة طلابية من ديوان عام محافظة سيناء ٥ جنيهات في المهجر حيث كانت محتلة سيناء ولها مقر مؤقت بحلمية الزيتون.. واعانة اخرى من الشئون الاجتماعية ٤ جنيهات.. وانقطاع كامل عن الاهل بسبب الاحتلال...اذهب الى الامتحان بعد عناء شديد في المواصلات يصل الى ساعات وزميلي يأتي بسيارة خاصة مع والده او والدته والتي تظل في انتظاره

لحين دخول الامتحان وهو يراجع صفحاته داخلها حتى اخر لحظة ويلتهم السندوتشات المعدة مسبقا ثم يدخل الامتحان ليكون الاهل في استقباله وبعد المراجعة يعود متوسدا بالكنبة الخلفية عائدا الى المنزل حيث الراحة وما لذ وطاب واعود انا للشعبطة في اي اتوبيس لأصل الى ميدان التحرير ثم عدة محاولات فاشلة لركوب اتوبيس اخر لأصل الى وجهتي الاخيرة ربما اخر النهار لأبدأ المذاكرة لامتحان جديد وهكذا دواليك وفي كل يوم ارى قصة جديدة لزملاء قدم معظمهم من الاحياء المحيطة المنيل والعجوزة والمهندسين وشلة المعادي وهكذا والقليل من الاقاليم يسكنون المدينة الجامعية والتي كان لي شرف الانضمام لهم في السنة الثالثة حيث انها لا تبعد عن القصر العيني سوى محطتي اتوبيس فخف عني مشوار العذاب المتعدد وهم اعداد الطعام ..المهم انني طوال سنوات الكلية ايضا لم يكن احد يعلم ماهي نتيجة الامتحان ولا يسأل .. كما يقول الانجليز "انها تمشي بدون سؤال.. او لا داعي للسؤال "فمن المفترض إنك تتحمل مسئولية نفسك...ولم يكن الامر يقتصر ان عدد غير قليل من الطلاب يأتون اما بسيارة الاسرة او سيارتهم الخاصة.. ولكن العجب في لجنة الامتحانات الشفوية فبينما نحن مخنوقين داخل البدلة التي كانت شبه اجبارية نرتعش قبل الدخول ليتم عصيرنا او كما يسمونها غسيل ومكوى.. نرى اخرين يدخل ضاحكا ويخرج مبتسما وفي دقائق.. فهذا ابن الاستاذ الدكتور فلان وذاك ابن الوزير علان وتلك امها عميدة كلية كذا واضعفهم خاله السفير فلان او من الضباط الاحرار او محافظ سابق...قلي انت يابن الحاجة وهيبة والمرحوم الحاج سلام مين واسطتك في الامتحان الشفوي اللي ممكن يخليك تجيب امتياز او تقف في طابور الغلابة وقد كتب نبيل عصمت في باب ابو نضارة اليومي في الاخبار والذي كان حديث الناس ان دفعة طب القصر

العيني لعام ١٩٨٢ بها ١٠٥ ابن استاذ ناهيك عن صلات القربى الاخرى في الجامعة او الوزارات... المهم انني كنت اقف مشدوها وان ارى زملائي يأتون الى الامتحانات بالعائلة وانا وبعض الزملاء من ابناء المحافظات ممن رماهم الهوى في احضان الطب ويكملون النحت في الصخر والذين لم يذوقوا طعم الدروس الخصوصية ولا المجموعات الاروستقراطية والذين يتبادلون اوراقا ومذكرات وكأنهم يتعاطون محرمات... ونغوص نحن في بحور الكتب لنستطيع الوصول الى تكات الامتحانات بعناء وشقاء وبدون وساطات وتوصيات لا يستطيع احد ان ينكرها بل اننا شهدنا زملاء كانوا اقل منا تقديرا "تقدير المواد" في سالف السنوات وتعدوا ونالوا في البكالوريوس اعلى الدرجات والتقديرات ثم اصبحوا بقدرة قادر معيدين ومعيدات...ونعود لقصة الشهادات التي لن يراها احد ولم يسألني احد يوما عن التقديرات في كل السنوات الى ان تخرجت متفوقا انا ورهط من ابناء الصمت ايضا برغم كل العقبات لكني مازلت في حسرة لأنني كنت ارى بعيني من لا يستحق يتقدم ويأخذ فرصة لا يستحقها ولكن هذه هي الحياة فالعدل فيها مجرد امنيات والفصل متروك لرب السموات..

ام سمير

كانت تسكن على ناصية شارعنا في بيت كبير يطل على شارعين وتتوسطه اشجار الزيتون وانواع اخرى واحيانا بعض الزراعات الموسمية كالذرة النيلي التي كنا نشويها ليلا وفي احد زوايا الدار جراج كان يضع فيه العم عبيد زوجها رحمه الله سيارته النقل وبعدها ابنه سمير سيارته الميكروباس وتشغل غرف المعيشة جزء اقل من ثلث مساحة البيت أما غرفة الفرن ومشتملاته فهي الاوسع على الاطلاق في بيوت شارعنا والذي شهد صولات وجولات من الخبيز الى الكعك والبسكويت في ليالي العيد...كان يحلو لنا السهر على ضي القمر في وسط الدار فقد كانت احدى البنات زميلة لاختي في الدراسة وتوأمها مع زميلة اخري ونظرا لان بيتنا ليس فيه غيري وامي.. فلا مانع ان يقضيا ليلتهم بعد المذاكرة مع كوثر رحمها الله واظل انا في مكاني ايضا في هذا البيت الواسع وتأخذني غفوة النوم في براح ساحة البيت تحت النجوم الى الصباح...فقد كانت الحاجة ام سمير طيبة القلب ضاحكة الثغر بشوشة الوجه ذات صوت خفيض لم اراها يوما غاضبة ولم يسمع احد لها صوت عبر السنين برغم كثرة العيال وتحبني كاولادها وانا احبها كأمي فهي صديقتها حيث كانت تحضر معها اجتماع العصر وهو الاجتماع البومي الذب يعقد كل يوم في احد البيوت حيث القهوة وربما بعض المعجنات المنزلية و الذي يضم معظم سيدات الشارع وان كانت مقلة في الحضور لانهن جميعا من الارامل اما هي كانت تنتظر زوجها ولا تنضم الى مجلس الادارة الا عندما يكون مسافرا او في زيارة...ومرت الايام وكبرنا وسافرنا الى الجامعات ولكن الوصل لم ينقطع وظلت المودة قائمة فأصدقاء اختي كانوا لي كالمحرمات احبهم كحبي لها حتى بعد ان توفاها الله احب ان اراهم فهم من رائحتها فقد فارقتنا مبكرا وكانت توأمي

فـي الحياة...منـذ الصـغر تبكـي اذا بكيـت وتفـرح اذا فرحـت وظلـت كـذلك الـى ان سـمعت صـوتها فـي التليفـون قبـل وفاتهـا بسـاعة بعـد ان نهـش المـرض الخبيـث كـل جسـدها... وفـي يـوم مـا دخلـت الـى عيـادتي فـي العـريش الحاجـة ام سـمير حيـث كنـت فـي تلـك الفتـرة مـا بـين العـريش والقـاهرة وكانـت قـد تعافـت مـن اثـر ازالـة ورم فـي المـخ ...وقالـت لـي ان الاطبـاء قـرروا ان اجـري عمليـة استئصـال الـرحم وانـا جايالـك علشـان تعملـي العمليـة.. فأسـقط فـي يـدي.. فهـي قـد تجـاوزت السـبعين تقريبـا ولـديها مشـاكل طبيـة وهـي ايضـا صـديقة المرحومـة امـي واحبهـا ايضـا بـنفس القـدر وهـي اخـر مـن تبقـى مـن هـذا الجيـل...المهم انـي قـررت ان اصـطحبها معـي الـى القـاهرة وادخلهـا مستشـفى النسـا بالـدمرداش خوفـا عليهـا مـن مضـاعفات التخـدير واجريـت لهـا العمليـة بصـحبة احـد الـزملاء وانـا اضـع يـدي علـى قلبـي.. ويشـاء الله ان تتعـافى وتعـود سـالمة الـى منزلهـا العـامر لتزورنـي فـي منـزل العـريش وهـي تلـبس ملايتهـا السـوداء والتـي تخلـى عنهـا كـل هـذا الجيـل محملـة بالهـدايا وقـد مضـى علـى هـذه الواقعـة أكثـر مـن خمسـة عشـر عاما...وكنـت حريصـا كلمـا زرت العـريش ان اطمـئن عليهـا امـا مـن احفادهـا اذا لـم لـم يسـعفني الوقـت او ان ازورهـا فانـا مازلـت فـي نفـس الشـارع واتعجـب انهـا تعـرف عنـي الكثيـر وانني مرضـت واجريـت عمليـة وسـافرت الـى الخـارج واجريـت جراحـة.. وانهـا مـن المؤكـد كانـت تعـرف ذلـك امـا مـن احفادهـا او أبنائهـا فكانـت تبرنـي بالـدعاء وانـا مقصـرا فـي حقهـا فأحيانـا بالزيـارة واحيانـا بالسـؤال وكانـت اخـر زيـارة لـي منـذ اكثـر مـن ثلاثـة شـهور وجلسـت معهـا قلـيلا وكانـت تشـكوا لـي مـا انتابهـا مـن امـراض الشـيخوخة التـي هاجمتهـا واصـرت ان اجلـس لا شـرب القهـوة ..وشـاءت الاقـدار ان يكـون اخـر لقـاء فقـد رحلـت امـس الحاجـة ام سـمير ..اخـر اصـدقاء امـي الحاجـة وهيبـة "ياسـمين"، رحلـت اخـر ذكـرى كانـت تربطنـي بهـذا الشـارع وايـام لا يمحوهـا كـل مـا

استجد من عمارات ومحلات وسيارات تصطف على جانبه لم تكن في حسبان ايام الطفولة...رحلت الحاجة ام سمير التي لم استطع ان احبس دمعتي عليها وانا اقرأ الخبر على صفحة ابنتها صديقة اختي...رحلت الطيبة التي لن تتكرر ..واحد اقطاب الجيل الذي يرمي حموله على الله ولا يحسب لدنيانا اي حساب ...رحلت اخر ضحكة بريئة في شارعنا العتيق.. وعندما هممت اكتب نعيا على صفحتي فانساب دمعا من خلائقه الكبر...فأكملت مقالا لو كتبته بمداد ربما لم نرى له معالم فقد اختلط الحبر بالدموع وكأني انعي امي من جديد...سلاما لروح الحاجة وهيبة وسلاما لروح الحاجة ام سمير وكل جيل الاطهار ما تعاقب الليل والنهار..

صاحب المقام الرفيع

صاحب المقام الرفيع هو لقب ملكي لم يحصل عليه في مصر قبل ثورة ١٩٥٢ الا مصطفى النحاس باشا وحسين سري باشا وعلي باشا ماهر وكل منهم قد شكل الوزارة عدة مرات ولكن السيجال الذي كان يدور ما بين علي باشا ماهر والنحاس باشا يستحق التسجيل.. ويذكر أن فريد الاطرش غنى في فيلم اخر كدبة الذي شاركته فيه البطولة سامية جمال اغنية "ياعوازل فلفلوا" من كلمات ابو السعود الابياري.. وان النحاس باشا منع اذاعتها في الإذاعة لان اللفظ لا يتسق مع الذوق العام وإنها دعوة للمكايدة...وقيل أن السبب لم يكن كذلك فحسب وإنما انه قد لوحظ كلما التقى غريمه علي ماهر باشا بالملك كانت الإذاعة تذيع الاغنية وهنا أصبحت نوع من المكايدة السياسية...وبرغم ذلك فقد نجح هذا الفيلم نجاحا كبيرا...ومن مفارقات التاريخ أن اغنية فايزة احمد يامة القمر عالباب قد منعتها أيضا الإذاعة الاردنية بتوصية من اللجنة الدينية في البرلمان حيث اعتبروها خروجا عن الأخلاق.. إذ كيف تقول.. يامة ارد الباب ولا اناديله.. واسقيه ينوبنا ثواب ولى ارد الباب...ويامة القمر سهران مسكين بقاله زمان وعينه على بيتنا...ولم تكن الاردن فقط ولكن أيضا في مصر تقدم شيخ البرلمانيين النائب الاشهر سيد جلال صاحب مشروع المستشفى الشهير بباب الشعرية وأشهر القوانين "من أين لك هذا؟ وقانون منع الدعارة في الخمسينات فقد تقدم بطلب للبرلمان لمنع نفس الاغنية وأغنية صباح "،من رمش عيونك ياه" واعتبرهما من الأغاني الخارجة عن التقاليد...اسوق هذه الأمثلة ليس للتندر او لاجترار الذكريات ولكن لأقول أن تلك الأغاني على بساطتها ورقتها كانت تعتبر في ذلك الزمن الذي يسمى جميلا واظنه كذلك حيث انهم حرصوا على الا يختلط الحابل بالنابل ويشوب الفن بعض ما يسئ

اليه حتى ولو على سبيل سوء الظن...الى هذا الحد كان الحفاظ على الذوق العام والمحافظة على القيم تشغل كبار السياسيين كما كان يشغلهم الاقتصاد والتعليم والصحة وأمور البلاد...ماذا لو عاش معنا الان النحاس باشا والمعترضون في البرلمان الأردني والمصري كمان وسمعوا ما نسمعه وما لا نسمعه وما لا نطيق أن نسمعه ..ربما لطالبوا بحل الوزارة والبرلمان...لكن ليس الزمان هو الزمان...وكما يقول من سبقونا يابني كل وقت وله اذان...وانا بس حبيت احكي لحضراتكم واقول كان يا ما كان...

النبي ياسر

في صباح يوم الجمعة وفي يوم من ايام الشتاء الباردة في اجازة منتصف العام استيقظت مبكرا كما هو المعتاد في ايام الدراسة ووجدت الحجة وهيبة تعد طعاما كأن هناك عزومه.. حلة كبيرة من الارز واخرى اصغر من اللحم والسؤال التقليدي.. مين جاي اليوم يامة؟ فترد وهيبة "ياسمين" ضيوف على باب الله.. وطبعا لم افهم الاجابة فأنا مازالت غضا يشق طريقه في السنة الثانية الابتدائية...وما ان نضج الطعام وضعت الارز في صينية كبيرة وعليه اللحم وغطته بالفطير وغلفت الكل بورق تناولت ملايتها السوداء والتفت بها بعد ان وضعت على رأسها شاشتها البيضاء ورفعت الصينية فوق رأسها واصطحبتها الى حيث وجهتها فأنا كنت مثل ظلها لا اتركها ابدا لانهارا ولا ليلا...وكان الطريق طويلا من بيتنا الى شاطئ البحر لتميل قليلا الى اليمين ثم نعتلي تبة تطل على البحر عليها غرفة اسمنتية بلا سقف فاذا اعطيت ظهرك لها ترى النخل كثيفا وموجات بحر العريش الهادرة بفعل رياح الشتاء اما على الجانب المعاكس فهناك بعض القبور المبعثرة يعلوها نبات الصبار وهنا في هذه الغرفة مقام اسمنتي على احد طرفيه لفافة بقماش اخضر يلتف على خشبتين مغروزتان في اناء ملئ بالرمل حتى يظل ثابتا...هذا المقام يعرفه اهل العريش "النبي ياسر" ونظرا لتطور الاجيال فيما بعد ولم يكن هناك في اي دراسات تاريخية او دينية نبي بهذا للاسم فقد عدلوا المسمى فيما بعد الى حي ال ياسر حيث انتشرت المباني والشاليهات حوله بعد التزايد المطرد في السكان...المهم ان الحاجة وهيبة " ياسمين" تركت الاكل في المكان وما هي الا دقائق حيث ان صلاة الجمعة قد انتهت فقد تجمع في المكان رواده لينسفوا الطعام نسفا...ومن الغريب ان بعض من رأيتهم كانوا يطوفون بالمكان ويتمتمون

بالـدعاء ..وعلـى اخـتلاف اشـكالهم ومشـاربهم فمـنهم المجـذوب وهـو لـيس مجنـون ولكنـه الرجـل المتمسـك بأضـرحة اوليـاء الله الصـالحين يطـوف بيـنهم وهـذا اعتقـاده ومـنهم الجاهـل تمامـا بمـا يفعـل ومـنهم مـن جـاء طالـب حاجـة ومـنهم مـن جـاء ليـوفي نـدر...وكان الاخيـر هـو جـواب الحاجـة وهيبـة عنـدما سـألتها لمـاذا جئنـا الـى هنـا وقـدمنا هـذا الطعـام حيـث اجابـت انهـا تـوفي نـدر وطبعـا انـا لا اعـرف مـا هـو سـبب النـدر وتنطلـق مـن المكـان رائحـة البخـور وبعـض شـمعات منهـا مـن ظـل واقفـا بـلا نـار ومنهـا مـن سـاح علـى جـدار المقام...وقـد لاحظـت ان احـدى خـالاتي والتـي كانـت مولعـة بقصـص المشـايخ والتبـاس الارواح تكثـر زيارتهـا لنـا ودائمـا كانـت تتـدلى مـن يـدها سـبحة طويلـة وتلـبس قرطـة رأس خضـراء وتصـع فـي مـدخل بيتهـا رايـات خضـراء.. ولـم اكـن اعـرف سـر اللـون الاخضـر الا عنـدما زرت المدينـة المنـورة ورأيـت القبـة الخضـراء فـوق قبـر النبـي صـلى الله عليـه وسـلم ... وقـد كانـت خـالتي خديجـة دائمـا تـرد اي قـول او فعـل سـواء كـان فـي جانـب الخيـر او الشـر الا الجـن وارواح الشـيوخ وتقـيم فـي بيتهـا حلقـات ذكـر للنسـاء بـرغم انهـا شـبه اميـة.. وكـادت تشـد وهيبـة معهـا لـولا ان اخـوتي اقنعوهـا بـان هـذا الفعـل يـدخل فـي بـاب البدع...وخاصـة عنـدما قصصـت علـى اخـوتي قصـة النـدر والغـداء بحسـن نيـة طبعا...فغضـبت منـي قليلا"انـت مبيتـبلش فـي حنكك/بقـك/ فولـة" ولكنـي كنـت اسـأل مـن بـاب الفضـول يعنـي ايـه نـدر ومـين النبـي ياسـر الـذي كانـت تحكـى عنـه اسـطورة اقـرب الـى الخيـال وهـي ان خـط السـكة الحديـد الـذي كـان يمـر الـى الشـرق مـن مقامـه كـان فـي جهـة الغـرب وانهـم وجـدوه فـي اليـوم التـالي جهـة الشـرق كمـا هـو الان..... المهـم انهـا اقتنعـت بـرأي اولادهـا وخاصـة بعـد ان زارنـا أحـد الشـيوخ بصـحبة جـدي لأمـي والـذي كـان يزورنـا قادمـا مـن الاسـماعيلية قبـل ان يسـتقر قبـل مماتـه فـي العـريش.. حيـث كـان لا يجـد راحتـه الا فـي بيتنـا وكانـت

وهيبـــة حريصـــة ان تســـمع كلامـــه وتنفـــذ اوامـــره فهـــي البكرية....وهكـــذا توقفـــت اســاطير الجـن والارواح والملائكـة بعـد هـذه الزيـارة الميمونـة والنـدر الـذي تـاه فـي بطون المهووسين بخيال سراب مفقود...

المزاد

في ملعب رضا ذاك الملعب السداسي و الذي يقع في وسط المدينة وعلى مسافة قريبة من بيتنا ولا يفصله عن شارع ٢٣ يوليو الذي لم يكن غيره في العريش وموازيا لشارع ٢٦ يوليو والذي كان اقصر واقل نشاطا وقد تم تسميته بهذا الاسم نظرا لان اول فريق سداسي تم تكوينه تحت اشراف وتشجيع الاستاذ انيس عبده اول مدير للتعليم بعد الاحتلال الاسرائيلي كان اكبر أبنائه "رضا"..هذا الملعب شهد عودة الروح لكرة القدم بعد الاحتلال الاسرائيلي حيث يتقابل فريق حسن الشحتي "الاهلي" وهو شاب اصفر الشعر وعينان زرقاوان ولكنه من المكافحين حيث يعمل طوال اسبوعين مع الصيادين في بحيرة البردويل ويعود وقد كست الشمس بشرته بالاحمرار وقد كان هدافا ولكنه لا يجيد اللعب "بالكجنجة" ففي وسط المباراة يخلعها ليصبح اكثر انطلاقا وتسديدا ويلعب فريقه امام فريق حسين درويش "الزمالك" والذي كان يدعمه رجل من اصل فلسطيني وصاحب مطعم ويدعى ابو جمال.. وعندما يلتقي الفريقان يكون يوم عيد فيجتمع حول الملعب المئات للمشاهدة وقوفا على الخطوط الجيرية...وكل يشجع فريقه حتى إذا انقضت المباراة قرب الغروب انطلقنا كل الى وجهته وظل الحال هكذا لسنوات الى ان انشغل الشباب بلقمة العيش والسفر اما الى فلسطين المحتلة بحثا عن الرزق او الى القاهرة لاستكمال التعليم...وتحول الملعب الى صالة مزاد كان يرد اليها كل مستلزمات البيوت.. حيث كان بعض التجار يجلبون اثاث الشقق المستعمل والذي يتم الاستغناء عنه او تجديد ماركته ويكون بصورة جيدة من داخل اسرائيل ويشترونه بثمن بخث واحيانا بلا ثمن ليعيدوا بيعه مرة اخرى .. وكم ساهم هذا في تجهيز الكثير من البيوت من الثلاجات التي لم تكن موجودة اصلا في البيوت

والـدفايات علـى اخـتلاف انواعهـا والكنبـة العجيبـة التـي يـتم فردهـا فتصـبح سـريرا وقـد كانـت وقتهـا "اختـراع" والحلـة الكهربـاء للخبيـز والتـي جعلـت معظـم البيـوت حتـى امـي الحاجـة وهيبـة "ياسـمين" تسـتخدمها بعـد سـنوات مـن الجلـوس امـام النـار والـدخان لإنجـاز مشـنة العيش...ودخـل الاثـاث تقريبـا كـل بيـت فقـد كـان يبـدو جديـدا واجهـزة التليفزيـون حـدث ولا حـرج ...المهـم ان هـذه الصـالة المفتوحـة بمسـاحة ملعـب الكـرة كـان فيهـا كـل مسـتلزمات البيـت العصـري باقـل ثمـن وفـي متنـاول معظـم البيـوت.. فـاذا كـان المثـل السـائر يقـول يثـاب المـرأ رغـم انفـه.. وايضـا هنـا يتمـدين المـرأ رغـم فقره...فكـل اجهـزة المطـابخ و المـراوح وغـرف النـوم والانتريهـات بأشـكال والـوان ...وبعـض البيـوت يحـتفظ بهـذه الاجهـزة ربمـا الـى يومنـا هـذا فهـي امـا صـناعة المانيـة او امريكيـة او هولنديـة بماركـات معروفـة....وانتقلت الكـرة وملعبهـا الـى ملعـب اخـر متـاخم لبيتنـا علـى جـزء مـن بيـت المحـافظ الـذي اصـبح اطـلالا وظلـت الرياضـة بجميـع اشـكالها تزدهـر بـرغم الاحـتلال فـي المصـارعة والبـوكس وتقـام لهـا حفـلات وتحـديات بـين ابطـال العـريش وابطـال غـزة وكـذلك كـرة القـدم فـي محاولـة لخلـق واقـع يجعلنـا نعـيش شـبه حيـاة تقليـدا لمـن يتمتعـون بكامـل حـريتهم واتـذكر اخـر مـرة اصـطحبت فيهـا فريـق نـادي الهـلال فـي مبـارة لكـرة القـدم فـي الخليـل فـي فلسـطين المحتلـة وكنـا صـياما وافطرنـا علـى قطـوف العنـب الخليلـي البـارد مـع اكـواب الزبـادي بعسـل النحـل ونحـن نتأهـب للعـودة الـى العـريش.... ثـم سـافرت الـى القـاهرة لدراسـة الطـب ومـا أدراك مـا الطب.. ينسيك أغلي ماتحب

عسل وطحينة

أحلي اكلة اشتاق اليها منذ طفولتي هي العسل وطحينة...والى يومنا هذا احيانا اكسر قاعدة الرجيم والغذاء الصحي حتى لا يزيد الوزن لاعتبارات صحية وليس من اجل الوسامة...فأعود مع هذا الطبق المفضل عبر السنين.. فكنت عندما افوز بقرشين صاغ سواء من حصيلة الاجابة على الاسئلة الصعبة من زملاء اخوتي الذين كانوا يفدون الى بيتنا اسبوعيا من قشلاقات الجيش من منطقة الابطال فهي لم تكن بعيدة.. ويحلو لهم سؤالي عن عواصم الدول وموانيها وانا مازلت في الصف الثاني الابتدائي وانا اجيب واحصل على بعض المكافأت والتي كانت تصل الى هذا المبلغ الذي تظنه تافها ولكنه بمقاييس الزمن الحالك والاوان الهالك كان كفيلا بان يسوي الهوايل كما يقول المثل السايروقد يتم توفيره من حصيلة بيع اللب او الترمس اذا كنا في الاجازة الصيفية بعد اتمام تحويش مبلغ المصاريف المدرسية والتي كانت خمسة عشر قرشا...حتى لا اتعرض للعقاب حال عدم السداد...كم كانت الفرحة تسبق خطواتي وانا اسير مختالا احمل طبقا في يد وفي الاخرى قابضا على قرشين حصيلة مجهودي واقطع شارع ٢٣ يوليو متحسبا الى رصيف المنتصف ثم الى الجانب الاخر الى محل العم حسين "العجل،" وكان يقع على بعد امتار قريبة من منزلنا ولكن على الجانب الاخر بجوار مقهى ام حسن وهي السيدة العجوز والتي كانت تشرب السجاير واحيانا الشيشة وتجالس الرجال على المقهى التي كانت تديره هي وزوجها ولكن السيطرة كانت لها حيث كانت ذات لسان سليط يمكنها من ان تمسح الارض باتخن شنب وهي من اصول فلسطينية اتت وزوجها الى العريش مهاجرين عام ١٩٤٨ وكانت ظاهرة غير متكررة في بلدتنا الصغيرة المحافظة ...المهم انني وصلت الى محل الرجل

البدين الذي كان يجلس دائما خلف الطاولة الخشبية التي تسد ثلاثة ارباع واجهة المحل حيث يضع عليها بعض المعروضات وادخل عنده واناوله القرشين والطبق ليضع لي الخلطة بقرش عسل وبقرش طحينة فيعتدل ويساوي قفطانه وهو زي فلسطيني ايضا ولم اكن اعرف ان هذا اللقب اسم عائلته الا عندما كبرت ..وكان الرجل من فرط بدانته لا يقف لأي مشتري فأنت تتناول ما تريد من خارج المحل او داخله وتدفع الحساب له وهو جالس ارضا على شلتة بسيطة تحتها اكياس من الخيش ويتكئ على وسادة كبيرة.. ويعتدل العم حسين ويضع العسل اولا من "جرة فخارية" في الطبق ولا ينسى ان يلعق اصبعه بعد ان يمسح عنق الزلعة ثم يغطيها ويضعها على يمينه ويضيف الطحينة من صفيحة صغيرة ويكرر نفس العادة بمسح طرفها ويلعقه وطبعا لازم اقوله اتوصى فهكذا قالت لي امي ففي كل مرة اذهب اليه لازم تحملني هذه الرسالة وهي تسلمني الطبق لأقوم بهذه المهمة...وربما كانت احد اسباب سمنة عمي حسين هو ما يقوم به في كل بيعة عسل وطحينة وربما كان يكرره في كافة المبيعات...ولكنه للحق كان بشوشا طويل البال عطوفا لا يضجر من الزبائن ابدا وعاش طويلا في سوقنا لاحس ولأخير.. وهو ايضا ممن اتوا الى مدينتنا مهاجرا من فلسطين واستقر بها...فمازال طعم عسله يجري في ريقي ودمي بما فيه من الحديد وطحينته الاصلية تصلب عظامي بما فيها من الكالسيوم...ومازال يعيش معي أشهى طبق واتذكر الرجل وادعوا له بالرحمة...

حالة ولادة

في بلدتي الصغيرة كانت النساء لاتلد الا عن طريق الداية وعندما جاء الاحتلال الاسرائيلي بدأت بعض النساء يلدن على يدي بعص الاطباء القدامى وكان اشهرهم في العريش الدكتور فتحي حال رحمه الله وكان رجلا كبيرا وليس متخصصا فهو ممارس عام وعندما تتعثر الحالة يطلب لها الاسعاف لتذهب في اغلب الاحيان لتلد ولادة قيصرية في احد مستشفيات خان يونس والتي تبعد عن العريش قرابة الساعة او اقل...ولما عدت الى بلدتي طبيبا متخصصا في امراض النساء والتوليد بعد معاهدة السلام بسنوات وجدت ان الناس مازلوا على عهدهم القديم مع الداية واشهرهم السيدة نظيرة.. والبعض يستدعي الاطباء للتوليد في المنزل...وكنا نرى طرائف غريبة.. وذات يوم رن جرس التليفون الارضي انا فلان وبيتنا في المكان كذا واختي في حالة ولادة وكان المتحدث شخص اعرفه وقد تخرج من احد كليات القمة وذهبت الى المكان المحدد وفحصت الحالة و اكتشفت انها تحتاج الى وقت فالان الساعة الثانية عشر ليلا وربما تلد بعد الفجر وتأكدت ان كل شيء على ما يرام وانها سوف تكون ولادة طبيعية ان شاء الله وانصرفت على وعد بالعودة بعد الفجر...وما ان وصلت الى المنزل حتى دق التليفون مرة اخرى.. يا دكتور الطلق سخن بعد ما مشيت ويا ريت تيجي تشوفها وحاولت التلكؤ ولكن اخيها يقف فوق التليفون.. فقد جرت العادة ان البنت تلد في بيت اباها...المهم الامر يومئذن لله.. وجرجرت قدماي لأركب سيارتي ومعي شنطة الولادة وذهبت الى البيت الذي لم يكن بعيدا عن منزلي كثيرا ففي اقل من عشر دقائق أصل إليهم...وفحصت فوجدت الحالة كما هي ولا شيء قد تغير...فهممت اشرح لهم الموقف وانه لا داعي للقلق وقد كنت احلم بان اضع رأسي على المخدة بعد يوم شاق.. ولكن والدها

كان له رأي اخر...يا دكتور أستريح في المندرة ونام زي ما انت عايز بس علشان تبقى جنبينا.. فاعتذرت بلطف حيث من المستحيل ان انام بملابسي وفي مكان غريب وانا قليل النوم اصلا وانام بصعوبة حتى في سريري.. ولكنه اصر... بل اغلق باب البيت بالمفتاح واحتجزني او قل اختطفني لحين الولادة وحلف يمين اني لن اغادر حتى تلد المحروسة ابنته بكثير من الجد وقليل من المزح وانا اعرف الرجل كبير ودقة قديمة ولكن ماذا عن الشبل الذي تعلم في ام الدنيا؟ وكان لابد من التعامل بكياسة...ولكن لم يكن هذا بيت القصيد...فانا طوال ٥ ساعات وانا تحت القصف من امها تارة ومن اختها تارة اخرى ومن جارتها قليلا ومن اباها كثيرا...يا دكتور ممكن تديها حاجة تحمي الطلق... يا جماعة مينفعش نعلق محلول ونحط فيه حاجة الا في توقيت معين بعد اتساع معين لعنق الرحم وسمك اقل...بس الدكتور فلان بيعمل كذا...والست نظيرة بتعمل كذا.. طيب ليه الطلق بقي بارد لما جيت.. انت لما مشيت الطلق زاد...طيب خلوني امشي...لا لا. بس انت ممكن تديها حاجة تسخن الطلق...وهكذا في حوارات عقيمة ومحاولة لأقناع قوم ابي جهل بالإسلام عبثا...ومرت الساعات اطول من سنوات كلية الطب والدراسات العليا معا...وانا اتمالك نفسي واعصابي التي احترقت وتكاد تشم رائحة شياطها وانت تجلس على نهر نيل القاهرة... بعد ان أذن الفجر و توضات وصليت بدأت خطوات تركيب المحلول وبه بعض المحفزات حيث اقتربت رأس الجنين من دخول اسفل الحوض وكنا نعتمد في التشخيص على الفحص اليدوي فقط فلا يوجد الا جهاز سونار بدائي واحد في المستشفى العام وكنت انا الوحيد الذي يعمل عليه وقتها ثم تعلمت الاجيال الاكبر والاصغر بعد ذلك...وكان فقط يحدد اتجاه الجنين وعمره وكمية السائل حوله ومكان المشيمة فقط ....المهم ان

مراسم الولادة قد بدأت وكانت تساعدني جارتهم وكانت تهذي بكلمات وتمتمات وتواسيني ان اصبر على القوم ربنا يجبر خاطرك .. و بعد ان ذهب الرجل الكبير لقراءة القران والام للصلاة والاخت مازالت انسة فلا تحضر الولادة والزوج مسافر للعمل...وبعد اكثر من ساعة مع شقشقة النهار وشروق الشمس خرج الى الدنيا ولي العهد وكنت قد عرفت من جارتها انها ام لأربع بنات...وقالت لي ارجو يا دكتور انك متزعلش منهم.. لان اعصابهم متوترة حيث ان زوجها الذي لم يحضر قد حلف عليها طلاق ان كانت هذه هي البنت الخامسة فهي طالق!!!؟؟؟؟فأسقط في يدي وعرفت سبب حبستي ولماذا كانوا يظنون ان الطلق بارد فينتفضون؟ لان المعتقدات المتوارثة انه إذا كان الطلق باردا فالمولود انثى.. ولذا قد توجه الرجل الكبير لقراءة القران والام للصلاة والسجود...وعرفت اسباب القصف العشوائي بالأسئلة الفضولية التي تحطم العلم وترميه في أقرب مزبلة على قارعة الطريق.. ولكن ماذا لو جاءت انثى هل كان سوف يتم التنكيل بي...ربما ولا استبعد ذلك فالبدايات تشي بالنهايات...ولكن الحمدالله ان الله سلم فنجت الوالدة من الطلاق ونجوت انا من ذنب لم ارتكبه ...ولكن الاغرب ان بعد هذه الليلة التي قضيتها كسجين زندا وبعد ان "من" الله عليهم بذكر ليملأوا الشارع بالزغاريد...لم ارى احدا يضع يده في جيبه ليدفع الاتعاب واكتفى اخاها بانه سوف يمر علي مساء في العيادة ليحاسبني...ونحن معشر اطباء النساء نعرف ان بعد العيد ما بيتفتلش كعك.. طبعا هو يريد ان يتهرب من الدفع ليقوم زوجها بذلك ولأنه مسافر كما قالوا في عمل ربما لن يعود قبل اسبوع ليحتفل بالولادة والسبوع بالمرة.... وكما توقعت جاءني اخاها مساء في العيادة ليدفع اقل اجر تقاضيته في حياتي عن حالة ولادة...ولكني حمدت الله انني خرجت سالما وخاصة ان زوجتي لن تبلغ النجدة

عـن اختفـائي.... فهـي تعـودت ان تفيـق صـباحا او تسـتيقظ لـيلا ولا تجـدني وعـادة مـا اعـود مـنعكش الثيـاب مخضـب بالـدماء مـن نفحـات السـيدات والـولادات.. ولكـن في عرفنا اللي فات مات...

راديو زمان

كان الراديو الكبير الذي يقبع في شباك غرفة البايكة الشتوية والتي كنا نأوي اليها شتاءا حيث انها تقع في الناحية القبلية من بيتنا الكبير المفتوح للهواء البحري فالبحر ذاته لا يبعد كثيرا عن بيتنا فالعريش كانت شريطا ساحليا في ستينات القرن الماضي وما أدراك ما الستينات... سمك الحائط لا يقل عن نصف متر وكانت الشبابيك خشبية ولم يدخل وقتها الى حضارتنا البدائية ثقافة الشباك الزجاجي الذي يجاور الضلف الخشبية.. الراديو يشغل كل هذه المسافة عرضا ويرتفع ايضا قرابة النصف متر ويأخذ شكلا مستطيلا وفي شاشته الامامية مفتاحان كبيران احداهما لتحويل المحطات وهو أقرب للبكرة التي تدور حول نفسها والاخر للصوت علوا وانخفاضا ومن الخلف غطاء به عدة فتحات مصنوع من خشب مضغوط...وكان هذا الجهاز العجيب بالنسبة لي مصدر تأمل الى حد الهوس فكيف يتكلم المذيع واين هو؟ وكان اخي الكبير رحمه الله من هواة اصلاح اجهزة الراديو حيث كان عمله في سلاح الاشارة بالقوات المسلحة...وكان يضحك علي ويقول لي ان المذيع موجود خلف الراديو ولان الشباك الخشبي موجود خلف الراديو فألح عليه ان يفتح الشباك لأخرج من الغرفة وارى المذيع الذي يتحدث...ويقتلني الفضول يوما فأضع كرسي لأصل الى الشباك واحاول فتحه ولكن هيهات فشبابيك تلك الايام كانت اطول من قامة الرجال فتلمحني امي الحاجة وهيبة "ياسمين" انت بتعمل ايه فأفضيت اليها بما اريد فتناولتني من حافة الشباك ومن جانب الراديو قائلة ان المذيع الان نائم ..وطبعا نظرا لان الراديو من المقتنيات الثمينة كانوا يصنعون له كسوة مثل الانتريه وممكن يصنعون فيها كشكشة ودانتيل ويضعون عليه فاظة وبها بعض الورود البلاستيكية في بعض البيوت .. ونظرا انه لم يكن اختراع ال٣ فاز قد

ظهر فكان البعض يضع طرف سلك باي قطعة معدنية في الراديو ويوصلها بالأرض او باي بستلة بها رمل مبلل لمنع المس الذي كان يحدث احيانا عند لمس الراديو...ولكن عقلي الصغير لم يستوعب هذه الرواية فعندما فتح الله على سعد المكوجي والذي كان يستأجر احد محلاتنا على ناصية الشارع واشترى راديو كبير حيث يجتمع عنده الخلان والاصدقاء وقت العصر يسمعون مباريات الدوري ... كان يضع الراديو على رف خشبي علوي ووجهه الى باب المحل ولا يوجد وراءه حائط او شباك خشب...و يرفع مؤشر الصوت لأخره ويجلس الجمهور امام ترابيزة المكوى او يقف البعض لعدم توافر كراسي سوى دكة خشبية وهو منهمك في عمله حيث المكواه الحديد التي يضعها على النار لتسخن ويعزف بها لحنه الخاص بالضغط على الملابس بعد الرشف عليها بالماء لتسمع صوت الطشطشة..فاذا زالت سخونتها يضعها على النار ويتناول الاخرى وهكذا يستمر العزف وهو يلبس جلبابه المخطط ويفتح صدره ليحتمل حرارة الموقد.. ويتابع الماتش ايضا مع جمهور المستمعين.. وما ان وقفت بينهم وانتهى الماتش عدت الى اخي الاكبر ابراهيم لأعاتبه ...انت بتضحك علية وتقولي المذيع قاعد جوة الراديو.. طيب الراجل اللي كان بيذيع الماتش دة كان قاعد هوة واللعيبة جوة الراديو ...فضحك مقهقها ومال الى الخلف وهو جالس من شدة الانبساط...ودعاني للجلوس بجانبه واخذ يشرح لي اشياء لم افهمها ولكنها تطحد الرواية السابقة حيث فتح لي الجهاز من الخلف فلم اجد الا لمبات زجاحية كبيرة وميكروفون وبعض الاسلاك ولم اجد المذيع لا نائما ولا قائما...

عصاية الغلية

عاش جيلنا كل المتناقضات وتطورات العصر من النسخ باليد لكتاب الاضواء في اللغة العربية الذي كان يأتي لنا مع فوج الصليب الاحمر الدولي قادما من القاهرة ليأخذ دورته على كل فصول المدرسة ليقوم كل منا بنسخه الا اذا جاد الزمان عليه بنسخة اخرى هبطت عليه من السماء وهكذا باقي الكتب ونحن تحت الاحتلال الاسرائيلي...وعشنا زمن الطشت والغسالة الى الاتوماتيك والدراي كلين وركبنا القطار الذي كان عدد المتشعلقين ربما يماثل عدد من بداخله والاتوبيس ٤٤ بشرطة القادم من عين شمس الى ميدان التحرير وانا انتظره في شارع ابن سندر تحت شقة اخي وهو يتهادى من شدة زحامه ويميل على الجانب الايمن ويكاد يزحف على الارض والبارزين من الابواب و الشبابيك اكثر من ركابه المحشورين كما السردين في علبته الحديدية ...كان هذا في منتصف السبعينات من القرن الماضي بعد ان دخلت كلية الطب...وعشنا في الستينات في بلاد ما وراء البحر في العريش في بقعة هي اقرب للقرية منها الى المدينة برغم ما قرأته عن حياة الضباط الاحرار عبد الناصر والسادات ويوسف صديق وغيرهم قد عاش فترة من حياته العسكرية فيها او على مقربة منها ولكنهم فيما يبدوا اعتبروها ارض حروب فيجب ان تظل كماهي... تذكرت العم حامد ذلك الرجل الخمسيني المفعم بالحركة الضاحك دائما المكافح الامين ... ونحن في المدينة الجامعية وكان يعمل عاملا للدور حيث كان يرفع عني عناء الغسيل فيأخذ ملابسي لمنزله وتعود نظيفة واقوم انا بمهمة الكي فقط فلم تكن قد دخلت ثقافة الدراي كلين بعد وكان يخصني وحدي بهذا الامر برغم انه يقوم بخدمة عدد كبير من الطلاب في غير اوقات العمل الرسمية من نظافة او اعداد الطعام ليحسن دخله فقد كان

معظمنا طلبة طب ونعود من الكلية متأخرا بعد وقت اغلاق مطعم المدينة لوجبة الغداء....وكنا من فرط نشاطه نسميه الونش...واعود مرة اخرى لحصة الغسيل التي كانت تدخر لها الحاجة وهيبة "ياسمين" ماء الشتاء العذب في براميل او في الحاووز الاسمنتي بعد ان تضيف عليها مسحوق "القلي" وهو الرماد المتبقي بعد حرق الأشجار حيث كانت سيدات البادية يجمعونه ويقايضون به ربات البيوت بالدقيق حيث يمتص الاملاح من المياه ويرسب في القاع....فلم يكن اختراع الرابسو وهو اول مسحوق ظهر في الاسواق قد وصل الى العريش ولأن المياه العمومية كانت تميل الى الملوحة لأنها تأتي من الابار لأننا كباقي المحافظات النائية ليس لنا نصيب من مياه النيل... وكان عادة يوم الجمعة هو اليوم المشهود حيث يتم فرز الملابس ..الابيض على جنب وباقي الالوان على الجانب الاخر بجوار الطشت النحاسي الذي كان من اهم اركان عفش العروس في ذلك الزمان وبجواره بابور الجاز وتعلوه بستلة الومنيوم غالبا تكون سوداء من الخارج من كثرة تراكم هباب الكيروسين مرات ومرات و يتم وضع الملابس البيضاء بها وتظل تغلي على النار مع اضافة صابون الميزان القادم من حصة التموين و الذي تم بشره مقدما والزهرة الزرقاء حتى تجعل الملابس ناصعة ولابد ان يقوم احد المساعدين من تحريك الملابس في هذا الاناء بعصاة خاصة "عصاية الغلية" بطريقة دائرية ..اما الملابس الملونة فتكون بمياه باردة حتى لا تزيل الصبغات منها حيث كانت كافة الملابس صناعة مصرية فلم تكن يد التطور في التصنيع قد دخلت اليها بعد... وهكذا تستمر نصبة الغسيل في ايام الصيف حيث يتم نشر الملابس على حبال ممدودة ما بين شجرة الزيتون التي تتوسط دارنا والدارين المبني على حافة الفراندة البحرية ..اما في ايام الشتاء فهناك مشكلة في تجفيف الملابس فلابد

مـن اختيـار يـوم بـلا غيـوم لبـدأ طقـوس الغسـيل اصـلا ولكـن اذا خانتهـا التوقعـات كانـت تجـري وتحـث اختـي وزوجـة اخـي ليجمعـوا الملابـس وتقـوم بفردهـا علـى الاسـرة داخـل الغـرف واذا لـم تجـف تقـوم مسـاء بإشـعال الكـانون وبعـد ان تهفـت نـاره تجفـف عليـه الملابـس فـرادى فتكـون لـه ميـزتين التدفئـة وتجفيـف الملابـس واحيانـا تسـخين الخبـز ولا مـانع مـن دس بيضـة او اكثـر وكـام حبـة بطـاطس وطمـاطم وتصـبح حفلـة عشاء...بسـيطة تلـك الحيـاة الـى حـد لا يتصـوره عقـل اذا مـا قـورن بمـا نحـن فيـه الان مـن تطـور ودراي كلـين والغسـالة بمجفـف فـلا تخشـى الشـتاء وامطـاره ولا ملوحـة ميـاه دارنـا ومـدينتنا...ومع ذلـك صـدق الشـاعر محمـود درويـش وهـو يقـول احـن الـى خبـز امـي ...وانـا ايضـا احـن الـى حنونـة امـي وزعترهـا ودقتهـا وكـوب الشـاي علـى منقـدها وجلسـتها فـي ركنهـا ...فلـو كانـت قـد تعلمـت فلربمـا قـد قامـت بتحضـير كراسـات شـنطة مدرسـتي ولكنهـا كانـت تكتفـي بـأن تغسـلها لتكـون نظيفـة فهـي للعلـم مـن قمـاش تيـل ناديـة وليسـت مـن الجلـد فلـم نكن نملك هذه الرفاهية وربما معظم ابناء جيلي في بلدتي كانوا هكذا...

الخطاب الأخير

كنت دائما اصاحب اقرانا أكبر مني سنا ففي المرحلة الثانوية كانوا دائما أكبر مني بثلاثة او اربع سنوات ربما كان ذلك لطول قامتي فلا تستطيع أن تكتشف أن هناك فارق في السن حتى في نادي الهلال الذي كان مقره على بعد خطوات من منزلنا بشارع ٢٣ يوليو بالعريش كان صديقي العزيز كابتن الحسيني وكان والده الرجل العجوز يحبني كابنه ولا يأمن لسفر الحسيني سواء للعب خارج سيناء او العمل الا بصحبتي وكان يخاف عليه فهو أصغر أبنائه كخوف سيدنا يعقوب على ولده يوسف بل كان يوصيني عليه.. وقد وجدت فراغا كبيرا عندما سافر رفقاء الصبا إلى القاهرة لاستكمال دراستهم الجامعية وكانت ايامنا واحلامنا تتلاقى، بل كانت أسرارنا أيضا تعيش معنا وكل منا يعلم من هي فتاة احلام الاخر...فلم يكن هناك شيء نستحي منه لنخبيه فالحب خلق الله على الأرض ونحن شباب مراهق يعيش أيامه الحلوة ويحمل في قلبه وضميره كل المعاني السامية وكل امارات الحب العذري.. نعم كنا نعلم عن بعضنا الكثير وكنا نتقاسم في الغربة ليس فقط احلامنا، ولكن قوتنا ومصروفنا ايضا...وقد فاز بعضنا بفتاة أحلامه وتزوج وأكمل طريق حياته والبعض الاخر حال القدر بينه وبين بنت الجيران وهذا تعبير مجازي فربما يكون لسابع شارع وليس لسابع جار.. فشوارعنا كانت صغيرة، ولكن قلوبنا كانت كبيرة.. فذات مساء جلست بجانب الحاجة وهيبة "ياسمين" امي اعترف لها بحب فلانة وهي جالسة على اريكتها تقطب بعض الثياب في مشهد يشبه علي في فيلم أيامنا الحلوة مع الست زنوبة...وذلك بعد أن حصلت على الثانوية متفوقا وكنت الأول على دفعتي وتحقق أملها في انني سوف اكون على أعتاب كلية الطب التي عاشت عمرها تحلم بها لي...وشرحت لها انها أصغر مني بسنتين وعندما انهي

دراستي الجامعية سوف تكون هي تقريبا انهت دراستها ثم يفعل الله ما يريد.. وان كانت تخشى من تجربة أخي الذي تزوج مبكرا قبل أن ينهي دراسته الجامعية...ولكنني اقنعتها بعدم قدرتي على ذلك فهو قد دفع من سنوات عمره اكثر من ٣ سنوات اضافية كان يعمل فيها ليل نهار ليتزوج ثم أكمل دراسته الجامعية ...المهم انها اقتنعت وذهبت لتزور منزل الفتاة لتجس نبضهم وعادت لتزف لي الخبر بأنها و امها مرحبون ولكن لابد من استشارة والدها واخيها الكبير وقد كان... واتفقوا أن يتم ذلك عندما أعود من القاهرة العام القادم وسافرت إلى الجامعة احمل امتعتي واحلامي وقصة حب تعيش بين ضلوعي...هل ستغيرها بنات البندر كما يقول اهل الريف ام ستظل كما هي؟...وكان العام الأول بالقاهرة وهو بالطبع على اي قادم من أطراف مصر صعب للغاية ولكن على القادم من الأرض المحتلة عبر رحلة الصليب الاحمر هي بمثابة انقطاع للحبل السري فلا خطابات ولا تليفونات ولا اي وسيلة للتواصل...وكم كنت اصحو وانا انام على كنبة الصالون في بيت اخي الذي كانت مساحته اقل من غرفة في بيتنا في العريش.. كم كنت اصحو منزعجا من حلم أرى فيه أنى اتحدث مع امي فاستيقظ فلا أراها.. وعدنا كما اتينا بعد عام لنقضي ٤٥ يوما فكل فوج من الطلاب يقضي نفس المدة ويعود في توقيتات منتظمة يحددها الصليب الأحمر الدولي في رحلة هي قطعة من العذاب، ولكن كل شيء يهون من أجل الاهل والاحباب...والتقينا مرة أخرى ونحن نحمل الدنيا في راحتينا وفي قلبينا الصغيرين...ودار الحديث مرة أخرى في رحى الحياة واستشراف المستقبل.. وجددت الحجة وهيبة الود مرة أخرى واتفقت مع والدتها على أن نزورهم انا وأخي الكبير غير الشقيق والذي كان معظم الناس يظنون اني احد أبنائه نظرا لفارق السن الكبير فهو اكبر أبناء أبي

مـن الزوجـة الأولـى وانـا أصـغر أبنائـه مـن الزوجـة الثانيـة...وبالفعل ذهبنـا وكـان والـدها الرجـل السـتيني يعرفنـا جيـدا وقـد كـان مرحبـا ولكـن اخاهـا الأكبـر كـان صـامتا بـل ممتعضـا إلـى حـد كبيـر.. وجـاء يـوم السـفر وذهبـت إلـى منـزلهم لأودعهـم ليلـة السـفر فقـد سـلمنا متاعنـا إلـى المكـان المعـروف حيـث يـتم تفتـيش الشـنط وتسـليمها فـي اليـوم السـابق للسـفر ليكـون يـوم السـفر للتفتـيش الشخصـي وركـوب الاتوبيسـات المغلقـة المعـدة لـذلك مسـبقا.. وعلـى البـاب كـان الـوداع بـدموع ونهنهـة مفرطـة وانـا اتمالـك نفسـي حتـى غـادرت، ولكنـي لـم أسـتطع العـودة إلـى المنـزل وقـد أرخـي الليـل سـدوله وكـاد الشـارع أن يخلـو مـن المـارة وخيـل الـي أن الطريـق قـد طـال واسـتفقت علـى دوريـة راجلـة مـن جنـود الاحـتلال كانـت تجـوب الشـوارع لـيلا تمشـي فـي طـابور بجـوار الحـوائط ويحمـل أحـدهم اللاسـلكي علـى ظهـره فـي المقدمـة دائمـا وتحسـت بطـاقتي "الهويـة" وهـي باللغـة العبريـة وكنـا نسـلمها حـين نغـادر إلـى القـاهرة ونسـتلمها حـين نعـود وتأكـدت مـن وجودهـا فـي جيبـي، ولكـنهم لـم يسـتوقفوني وكـأنهم يقولـون سـيبه ففيـه مـا يكفيـه.. وطرقـت بـاب صـديق لـي رحمـه الله كـان جارنـا وقـد تـرك الدراسـة ليعمـل ويعـول والديـه، ولكـن محبتنـا وصـداقتنا دامـت.. ومـا أن فـتح البـاب لمـح أن عينـاي تترقـرق ..وجلسـنا فـي فنـاء منزلـه العـامر دائمـا بالخضـرة فـي ليلـة صـيفية قمريـة واخـذ يهـدئ مـن روعـي بكلمـات حانيـة فقـد كـان يكبرنـي أيضـا بـأكثر مـن ثـلاث سـنوات ثـم اويـت إلـى المنـزل احـاول ان اخلـد إلـى سـويعات مـن النـوم ولكـن هيهـات ....ووصـلت إلـى القـاهرة بعـد يـومين مـن السـفر والاجـراءات ...ومـع اخـر فـوج حضـر مـن سـيناء وصـلني خطـاب منهـا عرفـت منـه سـبب هـذا النحيـب الـذي كـان فـي الـوداع ..فقـد كـان قـرار اخيهـا انهـا لـن تسـافر إلـى القـاهرة لإتمـام تعليمهـا الجـامعي وسـيكتفي

بالثانويـة العامـة وبنـاء عليـه انهـم لـن ينتظـروا طـويلا لإتمـام مـا اتفقنـا عليـه...وكان هذا هو الخطاب الاخير بعد الوداع الاخير.... واذا الاحباب كل في طريقة

ليلة العمر

وسترجع يوما يا ولدي مهزوما مكسور الوجدان..تلك هي العبارات التي سمعتها لأول مرة في ليلة شم النسيم من العندليب الاسمر ١٩٧٦ ونحن على مقربة من امتحان الثانوية العامة ومازالت العريش تحت الاحتلال ولا اعرف لماذا استوقفتني هذه الكلمات برغم جمال تلك الليلة حيث كنا نعتبرها ليلة العمر نجهز لها السهرة حيث اغنية جديدة لحليم فمنذ بزوغ شمس زي الهوى ثم حاول تفتكرني الى موعود ومداح القمر وصولا الى قارئة الفنجان ونحن نرتب لليوم التالي حيث تخرج العريش عن بكرة ابيها الى شاطئ النخيل فلا يوجد مكان لقدم من شمسية الى خيمة الى كابينة مهجورة تم تنظيفها واستخدامها الى من يستظل تحت تشابك النخيل...وهذا ما كان يميز هذا الشاطئ قبل ان تغزوه جحافل الخرسانات بعد التحرير...فقد كان بكرا ولا يوجد على شاطئه سوى بعض الكبائن منها من هدمته مياه مد البحر او اثار الحرب او طالته ايادي الخراب نظرا لهجرة اصحابها اما لانقطاع سبل الحياة فلا مياه ولا كهرباء او خوفا من دوريات جيش الاحتلال او ان يكونوا قد تركوا سيناء بالكامل الى وادي النيل اثناء حرب ١٩٦٧...كانت كلمات الاغنية تعن على خيالي خوفا من المستقبل القريب...ترى هل سأحقق حلمي وادخل كلية الطب؟ واذا حدث كيف سأدبر امري في مصروفات تلك الكلية ومعيشتي لعام كامل بعيدا عن اهلي بعد ان اغادر مع الصليب الاحمر الدولي؟ حيث ننقطع تماما عنهم فلا تليفون ولا بريد...وهل سيتحقق حلم الشباب الذي سيطرت عليه الرومنسيات الحالمة لحليم وعمر الشريف بين ايامنا الحلوة والوسادة الخالية وحكاية حب واني راحلة؟ وهل سياتي اليوم الذي اصطحب فيه حبيبتي الى الجامعة ونسطر معا وقائع حلم نتمنى ان نعيشه؟...فقد رسمت لنا افلام السينما التي كنا نرى

بعض منها من خلال البث العربي الاسبوعي للتليفزيون الاسرائيلي لمدة ساعتين ايام الجمعة...اذ شكلت وجدان جيلنا الذي عاش على انغام حليم ولوعة ثومة و احزان فريد و رقة شادية وقوة وردة وهمس نجاة الصغيرة....وكانت كل الهواجس تدور في رأسي وطفقت اذكرها وانا امر بكل عقبة في طريقي بعد ان تحقق اول حلم وهو دخول كلية الطب وبعد السفر الى القاهرة بعد موعد بدأ الدراسة بأسابيع وعثرات ما بعدها عثرات في الكتب والمحاضرات وما فات وصعوبة دخول المدينة الجامعية والبحث عن سكن وتدبير شئون الحياة بجنيهات قليلة وفي كل يوم اتذكر حليم والمقطع الذي لم يفارقني فاقفز فوق الالم وفوق الظروف وفوق الجراح لأني لا اريد ان اعود مهزوما مكسور الوجدان...وقد سقط في الطريق جزء من الاحلام مع فقدان الحب الأول فلا سبيل للاستكمال فهي طوع اهلها وهم لا يريدون استكمال طريق التعليم في الغربة...فتوقف قطار الرومانسية الحالمة واصبحت بالفعل تطارد خيط دخان....ولن اكون مبالغا اذا قلت اننا في صدر الشباب كنا نسعد بليلة ويوم شم النسيم ربما اكثر من الاعياد التقليدية حيث الطقوس الاسرية المعروفة...فالحسناوات في ابهى الثياب واجمل طلة والشباب يعدون العدة بأحدث الموضات بالقمصان المشجرة وقصة شعر حليم والوان من نظارات الشمس واليوم يمضي ما بين حديث عابر مع الفاتنات وهذا اقصى ما يمكن فعله او سلام بلمسة حانية... فلو ميل وحدف منديله وكاتب على طرفه اجيله يكون الحظ ابتسملك ... أو لمة شباب تحت شمسية مع احدث اغاني العندليب على الكاسيت الذي كان وقتها اختراع وربما سباق السباحة الى الموج الازرق وكنا نسميه "الغريق" اما كرة المضرب فقد كانت الرياضة المفضلة للجنسين ...ويمضي يوم الزينة سريعا ونحن لانريد لنهاره ان ينقضي حيث تبدأ الافواج

ترحـل تاركـة القصـور فـي الهـواء واكـوام مـن الـذكريات علـى شـاطئ البحـر بـل قـل على شاطئ الحياة..

اربعة في مهمة "رسمية"

عندما فكر اعضاء خلية اللاسلكي التي تشكلت خلف خطوط العدو وفي العريش بالتحديد بتكليف من الخدمة السرية بالمخابرات الحربية حيث تم تهريب ذلك الجهاز الذي يستقبل ويرسل من خلال ترددات خاصة تحتاج الى تدريب لفك رموزها فقد تم تدريب الرجل الثعلب والذي لا يمكن الشك فيه فهو صاحب مقهى في السوق المركزي ويجلس معظم الوقت ينفث دخان شيشته على طاولته الخاصة يرتدي جلبابه الفضفاض وطاقيته التي تغطي جزءا من الشعر الابيض "صباح الكاشف" قليل الكلام ولا يجالس احد فقط يشرف على عمله بالعين...ويلتقي مع رجال خليته فرادى تلك الخلية التي لم تقتصر على نقل المعلومات ولكن ايضا قامت بأعمال فدائية ذكرناها بالتفصيل في كتاب يوميات طبيب سيناوي...ولكي يستمر عمل الخلية ولا يتم اكتشاف ترددات جهاز اللاسلكي كان لابد من تحريك الجهاز في اماكن مختلفة في انحاء المدينة ونظرا لان افراد الخلية يقيمون في احياء مختلفة فاخترعوا فكرة توزيع اكياس الدقيق من الفئة الصغيرة على الاسر المحتاجة.. وفي عصر اخر ايام شهر سبتمبر ١٩٧٣ طلب مني عمي والذي كان تربطه علاقة نسب "بالثعلب" ان اقوم بتوصيل كيس الدقيق الى منزل العم صباح الكاشف على دراجتي بعد ان وضعه بنفسه على الكرسي الخلفي وتم تثبيته بشدادات بلاستيكية ملونة لها خطافات كانت مشهورة في ذلك الوقت.. وقد قمت فعلا بالتوصيل وطلب مني ان احضر بعض الزملاء ليقوموا بنفس المهمة على انها عمل خير ورجولة وقد شاركت صديقي حسن عبد العزيز وقد كان معي في نفس الفصل الدراسي وكنا نتدرب معا على كمال الأجسام في منزل احد اقاربه الذي هاجر بعد الاحتلال الاسرائيلي وكان امام منزلهم مباشرة وكنا تقريبا اطول طالبين في المدرسة وكان

هو يجيد لعبة الجمباز فأغراني بالتدريب معه.. اما كمال الدرة ومحمود عطوة فكانا يستعدان للسفر للالتحاق بالجامعة، ولكن مازال امامهم عام كامل فهكذا كانت طقوس الصليب الاحمر الدولي... السفر الى القاهرة بعد عام من الحصول على الثانوية العامة.... وكان لوالد كمال عجلة فيليبس ومحمود يستعير عجلة اخيه وهكذا ننطلق لتوزيع الدقيق ...والذي اكتشفنا بعد عامين تقريبا ان أحد هذه الاكياس به جهاز لاسلكي مغلف بالبلاستيك وورق السوليفان المفضض حيث يتم تحريكه ليصل الى كل افراد الخلية بشكل دوري وبذكاء وتخطيط.. ولكن بعد انتهاء حرب اكتوبر واكتشاف الخلية والقبض على افرادها حيث تم الافراج عنهم في صفقة تبادل الاسرى بعد فك الارتباط الثاني بعد فصل القوات حيث طلبهم الرئيس السادات بالاسم واستقبلهم بعد عودتهم من السجون الاسرائيلية ومنحهم نوط الامتياز من الطبقة الاولى...ولكن الرواية لم تنتهي وذات صباح ونحن مقبلون على الثانوية العامة وفي صيف ١٩٧٥ يتم القبض علي وانا في طريق السفر للعمل في داخل فلسطين المحتلة لتدبير مصاريف الدراسة بصحبة ابن خالتي سعيد والذي كان يعمل مبيض محارة محترف و يتم توقيفي واعتقالي للاستجواب عن شيء لا اعرفه ..واصبحت متهما بعضوية الخلية ومعي الشبان الثلاثة وليس بينهم سوى حسن عبد العزيز فقط في العريش والذي تم توقيفه في نفس التوقيت تقريبا اما محمود وكمال ففي القاهرة للدراسة ولم يبلغ سعيد احدا لأنه استمر في سفرته وعاد في اجازة نهاية الاسبوع متيقنا انني قد عدت الى المنزل لان قوة الضبط اخبرته انه تحري لتشابه الاسماء بالعبرية التي كان يجيدها ولما عاد ولن يجدني ابلغ اخي الاكبر اسماعيل وهو الوحيد الموجود في العريش والذي جرب مرارة سجون الاحتلال لعامين ونصف من قبل وبالطبع لم يبلغ الحاجة وهيبة "ياسمين" والا اقامت

الدنيا واقعدتها حيث اخبروها انني سأطبق اسبوع اخر في العمل لعل وعسى ان يصلون الى اي خبر ...وبعد الاستجواب الشفوي الذي كان سيده الانكار لأننا لانعرف بالفعل اننا كنا نحمل جهاز اللاسلكي لدرجة انني كنت اخترق بالدراجة الدوريات الاسرائيلية الراجلة بكل ثقة.. الى استخدام العنف المبرمج والحبس الانفرادي.. الى ان افرج عنا بعد تسعة ايام من عذاب "جهنم" ونحن مازلنا في مقتبل العمر... وظل الزملاء كمال ومحمود في قلق لعام كامل يخشون العودة مع الصليب الاحمر لزيارة الاهل ونحن نرسل لهم رسائل الطمأنة.. الى ان عادوا بالفعل واحتجزهم الجيش الاسرائيلي واستجوبهم لساعات ولكن كان لسان حالهم انهم كانوا يوزعون اكياس دقيق ولم يفتحوها يوما ولم يشكوا في انها تحمل اي شيء...وهكذا يثاب المرأ رغم انفه...فقد دمرت هذه الخلية محطة الكهرباء المغذية لغرفة العمليات الرئيسية للجيش الاسرائيلي في سيناء قبل حرب اكتوبر بيوم واحد ...وجزء من خط السكة الحديد القادم من رفح الى العريش واحد محطات الرادار....وللمفارقة يموت محمود عطوة الطالب ببكالوريوس الهندسة في حادث طريق بين الاسماعيلية وبورسعيد ويموت حسن عبد العزيز في الولايات المتحدة مصدوما بشاحنة وهو ذاهب للأدلاء بشهادته في المحكمة في قضية حساسة منذ اكثر عشر سنوات تقريبا...ويستشهد كمال الدرة في حرب طوفان الاقصى مع زوجته وابنته وحفيديه في ديسمبر ٢٠٢٣ حيث يتم قصف منزله على من فيه....وتشاء الاقدار ان اكتب انا هذه الكلمات لأرثيهم واعزي نفسي في ذكرى عودة سيناء ابريل ٢٠٢٤ ...

في بيتنا رجال

بـدأت الحـرب فـي ٥ يونيـو ١٩٦٧ صـباحا وتقريبـا انتهـت فـي مسـاء نفـس اليـوم بعـد ان دمـر الطيـران الاسـرائيلي مطاراتنـا فـي سـيناء قبـل اقـلاع اي مـن طائراتنـا وصـدرت الاوامـر بالانسـحاب غيـر المـنظم مـن سـيناء وحـاول الرجـال عرقلـة تقـدم القـوات الاسـرائيلية بجيـوب مـن المقاومـة ولكـن للأسـف بـلا غطـاء فاجتاحـت قطـاع غـزة وسـيناء فـي ايـام بـل قـل فـي سـاعات...ولم يكـن مـلاذ للجنـود والضـباط الا بعـض المنـازل فـي العـريش للتحصـن او الاختبـاء فيهـا فحضـر الـى بيتنـا زمـلاء اخـوتي فـي القـوات المسـلحة ومكثـوا لحـين اسـتخراج بطاقـات بمهـن مختلفـة وتـدبير ملابـس مدنيـة ثـم وضـع خطـة سـفر امنـة عبـر الـدروب للعـودة الـى غـرب القنـاة. وفـي مسـاء الاربعـاء ٧ يونيـو لجـأ خمسـة مـن الجنـود والضـباط الـى منـزل عمـي الحـاج علـي واحـدهم كـان صـديق ابنـه عبـد الجليـل الـذي كـان متطوعـا فـي الجـيش هـو واخيـه عبـد الكـريم والثالـث حسـن مجنـدا والـذي اصـبح فيمـا بعـد مـن ابـرز شـيوخ سـيناء والرابـع احمـد ذلـك الشـاب الفتـي الوسـيم ذو العشـرين ربيعـا والـذي تطـوع فـي صـفوف الحـرس الـوطني ولـم يعـد لا حيـا ولا ميتـا وقـد كـان والـده الشـيبة يجـوب العـريش جيئـة وذهابـا تحـت النـار يبحـث عنـه ولـم يجـده ومـع كـل روايـة تبعـث فيـه الامـل يشـق طريقـه مخـاطرا بحياتـه يحـذوه الامـل ان يجـده حتـى لـو بـين الضـحايا فـلا يجـد غيـر خزنـات الرصـاص المنثـورة فـي الطرقـات فيلـتقط بعضـها ويضـعها فـي" خـرج "بضـم الخـاء.. حمـاره ويعـود ليعطيهـا للجنـود المقيمـين فـي بيتـه لعلهـا تـنفعهم وهـم فـي طريـق العـودة حيـث كـانوا يتـأهبون للخـروج فـي اليـوم التـالي، ولكن في جنح الليل... ولكن القدر اراد

امـر اخر...ففـي هـذا المنـزل الـذي يقـع علـى بعـد خطـوات مـن شـارع ٢٣يوليـو وهـو الشـارع الرئيسـي بمدينـة العـريش وكـان وقتهـا الوحيـد ولـيس بعيـدا عـن بيتنـا

ربما مائتي متر فقط... وصلت قوات المشاه الاسرائيلية الى العريش والميكرفونات تجوب الشوارع بالدوريات المسلحة وتلقي البيانات باللغة العربية والطائرات تلقي المنشورات محذرة من ايواء الجنود والمسلحين ومتوعدة بالويل والثبور وعظائم الامور ويقتحمون البيوت ويخرجون الرجال منها ويتم تقيد ايديهم الى الخلف ورصهم ووجوههم الى الحائط ..لفرزهم ومعرفة من المجند من المدني بفحص الملابس الداخلية هذ اذا كان القائد عاقلا اما اذا كان متهورا فيرشقهم جميعا بالرصاص ويذهب الى الشارع التالي...ولما لم يخرج احد من بيت عمي لان الشباب جميعهم في الجبهة... فقد دخلت قوة راجلة الى المنزل والذي يطل على الشارع بطرقة او ممر على يمينك المندرة وعلى يسارك شقة صغيرة كانت تستأجرها اسرة من دمياط وفي الواجهة اكثر من ٦ غرف بحرية واثنان على اليمين ومثلهم على اليسار وباحة الدار بها بعض اشجار الزيتون والليمون وما ان دخل قائد المجموعة وظهر للرجال القابعين في الغرف الطينية على يسار ويمين المنزل باسلحتهم رشقوه فعاد بدمه للخلف ليسقط في الممر واندفعت القوة للداخل لتدور رحى حرب يسقط فيها ستة عشر جنديا وضابطا اسرائيليا وقائدهم الميجور "جوك " ضابط كبير وخرج المتحصنين الخمسة بعد ان استبدلوا ملابسهم العسكرية بملابس مدنية وكان احدهم مصاب وتم اسعافه بطريقة بدائية حيث استخرجت رصاصة من كتفه وكي موضعها بدون تخدير طبعا..تلك الجراحة التي اجراها الرجل العجوز عمي الحاج علي في بيت اخيه المجاور على عجل حيث غادر الرجال فور انتهاء الملحمة...وحضرت قوة كبيرة تسحب جثث الضحايا ولم يجدوا في البيت الا عمي الحاج علي ذو الاربع وسبعين عاما وزوجته وبناته فاعتقلوه وقاموا بوضع المتفجرات في كافة انحاء المنزل وهو من الطوب النئ الطيني ولكن بحوائط

سميكة وطلبوا من كل من في الداخل مغادرة المنزل في خمس دقائق بمكبر الصوت وهرعوا الى الشارع كيوم القيامة لدرجة ان السيدة الدمياطية نست ولدها "سيد" نائما وعندما ارادت ان تعود لتلتقطه منعوها لان المفجر باقي له ثواني ...وانفجر المنزل بما فيه ومن فيه فتناثرت محتوياته في الشوارع المجاورة واستشهد الطفل النائم وسمعنا دوي الانفجار الذي هز بيتنا وخرجت امي لتستطلع الامر وعرفت قبل ان تصل الى اول الشارع انه قد تم نسف بيت عمي وبدأ القلق يدب في ارجاء المنزل حيث الرجال المختبئون في احد غرف منزلنا وكان لابد من سرعة تدبير الامر ليغادروا ولكن في وضح النهار حتى لا يتم استهدافهم..... واعتقل الشيخ الكبير لعدة ايام ولكنهم افرجوا عنه بعد الحرب حيث برر وجود الرجال قي بيته بانهم مسلحين واقتحموا البيت وهو رجل كبير ومعه نساء وانه لا يعرفهم وبالطبع لم تكن هذه هي الحقيقة لانهم زملاء ابنائه والا لماذا لجأوا اليه ....المهم ان الرجال وصلوا الى غرب القناة بسلامة الله وارسلوا للرجل العجوز..عمي الحاج علي ذو العمة البيضاء والعيون الزرقاء والبشرة التي تميل الى الحمرة رسالة طمأنة بعد شهور... وهو ابن عم والدي واحب الرجال اليه فقد كان قبل الحرب يقف بشيبته وينزل من على ظهر حماره ليحتضنني ويقبلني فانا اصغر ما تبقى من ريحة حبيبه وصديقه وابن عمه ويضعني فوق الحمار لدقائق وانا في منتهى السعادة كأنني قد ذهبت الى ملاهي دريم لاند..... وبعد انتهاء الحرب بدأ يأتي الى مكان البيت المدمر الذي اصبح اثرا بعد عين أسر القتلى الإسرائيليين يقيمون مناحة وبانتظام على مدار اسابيع ثم تباعد الامر واصبح في الاعياد وتحت حراسة مشددة لسنوات ثم منعوهم ربما لأسباب امنية بعد ذلك...ولم يسلم الامر فقد كان الجيش الاسرائيلي يأتي لاعتقال الرجل العجوز ثم يطلق سراحه بعد عدة ايام وظل

هكـذا الــى ان لاقــى ربــه وهــو مكلومــا صــابرا بــرغم انــه اطمــأن علــى اولاده انهــم انسـحبوا غـرب القنـاه ولكـن احمـد فلـذة كبـده الصـغير الوسـيم الفتـي الـذي كـان اقـوى شباب جيله وتحكى عنه حكايات لم يعد...

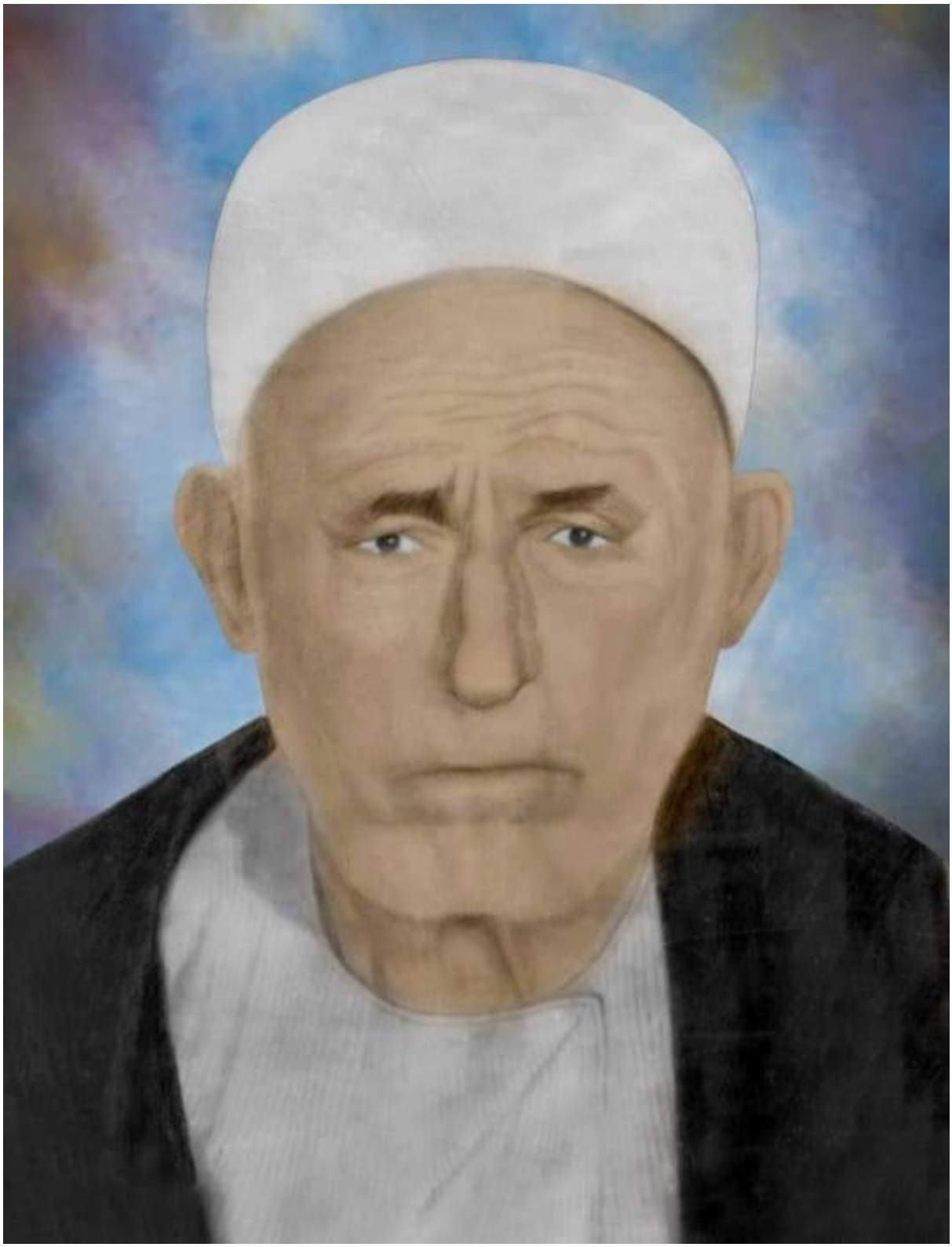

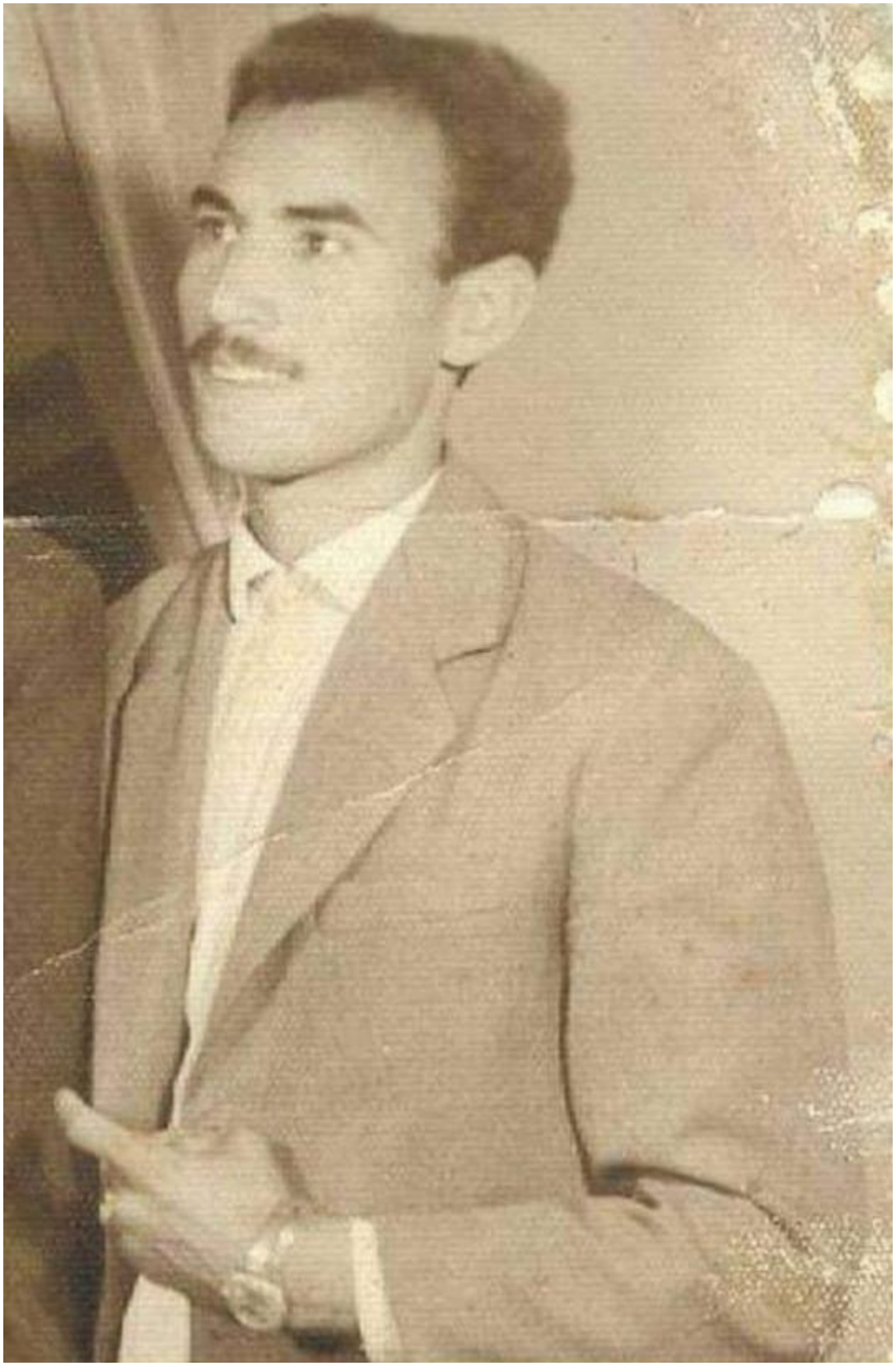

المنتزه

كان مسجد المالح يتوسط شارع ٢٣ يوليو وهو الشارع الممتد من محطة سكة حديد العريش على شاطئ البحر حتى ميدان البلدية وهو الشارع الرئيسي وتستطيع ان تقول انه الاوحد وظل هكذا طوال الستينات وحتى اثناء الاحتلال الاسرائيلي الذي لم يطور متر واحد في البنية التحتية لأنه كان يعرف انه ان اجلا او عاجلا سوف يرحل وان كان الاستثناء الوحيد هو مستعمرة ياميت في المنطقة ما بين الشيخ زويد ورفح التي كانت بالونة اختبار فهي حوائط سابقة التجهيز يتم تفكيكها في يوم وليلة ولكن ارادت اسرائيل ان تجعلها مسمار جحا او كما قال الزعيم انور السادات "قميص عثمان" عندما ابرمت معاهدة السلام وجاء وقت الانسحاب وتمسك المستوطنين بالمكان وكأنهم ولدوا فيه وشاهد العالم مسرحية اخراجهم بالقوة من قبل الجيش والشرطة الاسرائيلية... اعود الى مسجد المالح الذي تم ازالته وعمل مكانه حديقة كبيرة كنا نسميها "المنتزه" تيمنا بحدائق المنتزه بالإسكندرية ولكن مع الفارق كالثرى والثريا... وتم بناء مسجد اخر على مقربة منه هو مسجد القرماني حيث تفضل وتعطف السيد المحافظ عبد المنعم القرماني الذي ظل محافظا لسيناء حتى نكسة يونيو ١٩٦٧ واستمر في منصبه في المقر المؤقت للمحافظة بحلمية الزيتون حتى ١٩٧٦ فتقريبا لم تعرف سيناء قبله محافظا الا قبل ثورة ١٩٥٢ وكان انجليزيا يسمى "جرفص" ولا اعتقد ان محافظا او وزيرا ظل في منصبه هذا الكم من السنوات في تاريخ مصر....المهم ان سيادته قد تنازل عن جزء من حديقة منزله التي كانت تشغل تقريبا ربع مساحة العريش ليقام عليها المسجد والذي حمل اسمه حتى اليوم وانا لا ابالغ حينما اتكلم عن مساحة بيته وحديقته فقد تحولت المساحة بعد عودة

سيناء الى مدرستين وجميع مديريات الخدمات الحكومية ومجلس المدينة والمجالس المحلية... واجمل ما في الموضوع كان ذلك المنتزه الذي كان متنفسا للشباب بكراسيه الاسمنتية مساء.. ولكن استجد جديد قبل الحرب بعامين تقريبا ان توسط المنتزه اختراع عجيب موضوع في صندوق خشبي ومرفوع عن مستوى الارض مترين تقريبا وهو التليفزيون.. حيث يتم تشغيله في المناسبات القومية او احيانا في وقت العطلة الصيفية، ولكن ليس لمشاهدة الافلام لا سمح الله ولكن لمشاهدة النشرة السينمائية عن زيارات الرئيس عبد الناصر واستقبال الرؤساء وحضور مؤتمرات الاتحاد الاشتراكي او احتفال عيد النصر وخطاب الرئيس.. وكنا نجلس ارضا على النجيل الأخضر نشاهد تلك الصور والموسيقات العسكرية" مذبهلين" فاغرين الافواه وبالنسبة لي فقد سقطت فكرة ان المذيع يتكلم من وراء الراديو.. فهذا الجهاز العجيب اصبح صوت وصورة ونستطيع ان نراه من الخلف والمسألة لم تصبح مجرد مذيع فهناك رئيس وجمهور و سيارات وحدوته كبيرة...واظنهم اذاعوا مرة وربما بطريق الخطأ حفلا لأضواء المدينة ولكني حضرت اوله فقط وعدت الى المنزل والا كنت سوف القى مصيرا محتوما بعلقة ساخنة اما بشبشب امي الحاجة وهيبة "ياسمين" او بحزام اخي "القايش"الميري" واعترف انني كنت جبانا لأنني لا اتحمل الضرب فكنت اؤثر مبدأ السلامة...المهم انني ارضيت فضولي بالفرجة على الجهاز الجديد "التليفزيون" حيث تدفعني فطرتي المشاغبة بالسؤال الذي كنت اطرحه على كل اخوتي الكبار ...كيف يصل الينا الحفل الذي يقام في القاهرة في نفس الوقت؟ وظل سؤالي معلقا الى ان درست ذلك في حصص العلوم والفيزياء...

للموت قصة أخيرة

كان عمي سليمان اثناء حرب ١٩٦٧ مع زوجته الثانية في القاهرة ونظرا لأن بيتهم ملتصق ببيتنا واخي اسماعيل متزوج من ابنته الكبرى فكان لا فرق بين البيتين في فترة الاحتلال وبعد ان استقرت الامور وعادت الحياة الى طبيعتها وبدأت رحلات الصليب الاحمر الدولي لجمع شمل العائلات بتسفير العالقين بسيناء الى القاهرة والعكس عاد عمي واسرته الثانية الى العريش ونظرا لان البيت كبير ويتسع لأكثر من اسرة فكانوا يعيشون معا وطبعا من المؤكد انه كان شخصية مسيطرة...كنا قد انهينا دراسة الابتدائية ولكن قبل نهاية العام علمت ان لي ابن عم في احد الفصول وتعرفت عليه وعلمت انه يعيش مع جدته ...ولكن عندما عاد عمي من القاهرة في صيف ١٩٧٠ استعاد وديعته "ع" وضمه الى اسرته وكان يتردد على بيت جدته البعيد فنحن في وسط المدينة وهم قرب شاطئ البحر والمدرسة كانت في منتصف المسافة تقريبا... وكان لابد له من ان يذهب اليها فهي من احتوته منذ ولادته حيث ان امه رحمها الله كانت زوجة عمي الثانية وقد انفصل عنها قبل ان تلد "ع" ولكي تحتفظ بوليدها ومن اي مضايقات من والده انتحت به مكانا قصيا. واشتغلت في الوحدة الصحية برفح حيث هو مكان العمل والاقامة وعاشت وحيدة لسنوات طويلة تربي ولدها...الى ان نشبت حرب يونية ١٩٦٧ وحيث كانت الوحدة الصحية على الطريق الدولي فنالها قصف العدو الاسرائيلي فهرعت بطفلها الى مكان االامن ولكن القدر كان له رأي اخر فبينما هي تحمله وتجري لتحتمي بالبيوت المجاورة فاذا بها تسقط على الارض وهو في احضانها حيث اخترقت احد الرصاصات جانب وجهها الايمن واخترقت احشائها فنزفت حتى الموت

وهـو تحتهـا تحميـه بجسـدها فاغتسـل بـدمها وجـاء بعـض السـيارة فانتشـلوه مـن تحتهـا وعـاش معهـم فـي احـد كـروم الزيتـون والبرتقـال المملوكـة لان الحـارون وهـو فـي سـنته التاسـعة يتيمـا بـلا ام ولا يعـرف ايـن اباه ومـا ان وضـعت الحـرب اوزارهـا جـاء خالـه ليأخـذه بعـد ان وصـلهم خبـر استشـهاد اختـه ..وظـل يعـيش فـي كنـف جدتـه واخوالـه الـى ان عـاد والـده ليأخـذه وليشـاء القـدر ان يصـبح لـي رفيـق فـي نفـس سـني ومعـي فـي الدراسـة ويسـكن الـى جواري...وكانـت الحاجـة وهيبـة "ياسـمين" امـي تعاملـه بحنيـة ورقـة وتحـرص ان يكـون دائمـا معـي حيـث كانـت قولتهـا المشـهورة التـي تـرن فـي اذنـي دائمـا "الحـزين مـن تربيـه زوجـة ابيـه فمـا بالـك بزوجتـي اب" وهـو كـان يسـمعها ويضـحك ربمـا ضـحك المستسـلم...وظل كلانـا نـذهب الـى المدرسـة معـا ونـذاكر معـا ونقتسـم الرغيـف وقطعـة الحلـوى ومـرارة الالـم فكل منـا يعـاني اليتم هـو لـلام وانـا لـلأب والظـروف الماليـة تكـاد تكـون واحـدة فوالـده مسـئول عـن اسـرة كبيـرة ولـم تكـن المـوارد ميسـورة. وبـدأنا طريـق الجهـاد مبكـرا فقـد كانـت اول رحلـة عمـل لنـا خـارج سـيناء ونحـن فـي مـا بـين اجـازة السـنة الثانيـة والثالثـة الاعداديـة الـى فلسـطين المحتلـة لنعمـل فـي المعمـار بـرغم قسـوتها وقـد سـبق ان ذكرتهـا تفصـيلا فـي الجـزء الثـاني مـن يوميـات طبيـب سـيناوي "حكايـات شـارعنا" واسـتمرت رحلـة الشـقاء يتكـأ كـل منـا علـى الاخـر حتـى حصـلنا علـى الثانويـة العامـة وحاولـت ان تفرقنـا المسـافات فـدخلت انـا طـب القـاهرة وهـو طـب اسـيوط وكلانـا يبحـث كيـف سـوف نسـتطيع اجتيـاز اكبـر كليـة عمليـة بجيـوب مفلسـة. وكمـا تيسـرت لـي الامـور مـن بعـد عسـر وتلاهـا عثـرات فقـد شـاءت لـه الاقـدار ان يجمـع اوراق تثبـت استشـهاد امـه اثنـاء العمـل ويـدور فـي كنـف الدولـة العميقـة اسـابيعا وشـهورا ليسـتطيع ان يحصـل علـى معاشـها وتشـاء الاقـدار ان يـتمكن مـن الانتقـال مـن اسـيوط الـى طـب عـين شـمس...لنعاود اسـتكمال نفـس

المسيرة ونقتسم الجنيه حتى لو كان اخر ما نملك...واتذكر جيدا ان اخر جنيه كان معنا يوما ما ذهبنا الى سينما روكسي صالة مش بلكون واشترينا علبة سجائر كليوبترا قبل ان نقلع عن التدخين لاحقا وبالباقي سندوتشات للعشاء فول وطعمية وعدنا الى المدينة الجامعية لجامعة عين شمس بالمترو وتبقى ٥ قروش سوف نذهب بها معا في اليوم التالي لصرف اعانة ديوان المحافظة وقدرها خمسة جنيهات ووجدنا الصراف الاستاذ حمدي في مأمورية فاسقط في يدنا...فلم يكن معنا ثمن تذاكر العودة بالأتوبيس "قرشين صاغ "لكل واحد ..وجلسنا نندب حظنا العاثر بمزيد من السخرية.. "بالذمة دة منظر اتنين دكاترة" وموجة من الضحك الهيستيري ليظهر الاستاذ حمدي فجأة عائدا من المأمورية ...وشاءت ارادة الله ان تسترنا..

انيس عبده

وليس انيس عبيد صاحب معامل الترجمة التي تربينا عليها على الافلام الانجليزية والمسلسلات في التليفزيون والسينما... انه ذلك الرجل الممتلئ ذو الشعر الابيض الكث والشنب الابيض الذي يغطي نصف فمه مدير المدرسة الثانوية الصناعية بالعريش قبل حرب ١٩٦٧ والذي كان له الفضل الاكبر على كل ابناء جيلي وما قبله بسنوات في سرعة الالتحاق بالمدارس بعد انتهاء الحرب مباشرة ..فقد استطاع ان يجري اتصالات بالإدارة المدنية للجيش الاسرائيلي وكان يمثلها ضابط اتصال للتعليم ومن المؤكد انه كان بإيعاز من احد الاجهزة السيادية عبر وسطاء مثلما حدث في الصحة واعادة تشغيل مستشفى العريش ومكتب الصحة المدرسية مع الدكتور عابدين ابراهيم والدكتور محمد رضوان رحمهم الله حيث كانت اورى ثم ايفون وهما ممرضتان برتبة عسكرية تناوبا على تشغيل مرافق الصحة في سيناء وتغذية المستشفى ببعض الاطباء من قطاع غزة وكان ابرزهم د.بطرس اخصائي الصدرية وعبد العزيز الرنتيسي اخصائي الاطفال والذي اصبح فيما بعد ابرز قادة حركة حماس...نعم استطاع الاستاذ انيس وهو من العائلات القليلة المسيحية التي كانت تعيش في العريش بل قل انه كان ربما احد عائلتين فقط وقسيس الكنيسة وكم تحمل من السخافات من الطلاب الذين كانوا يظنون ان فتح المدارس هو نوع من العمالة للمحتل فكانوا يخرجون في مظاهرات مناهضة للرجل ينادون "شيلوا انيس حطوه في الكيس" وهو يتحمل المسئولية بكل صبر وكان معروفا في العقل الجمعي لدى السيناوية ان من تثبت عليه العمالة ترسل اجهزة المخابرات من يقبض عليه بتلك الطريقة وتهريبه الى غرب قناة السويس ليتم محاكمته...هكذا كانوا يظنون وربما يكون ذلك قد حدث في حرب ١٩٥٦ وهم

ايضا مازالوا على قناعة ان المحتل لن تطول اقامته وانها اسابيع او شهور ويرحل مثلما حدث في حرب ١٩٥٦ ولكن هيهات فالظرف اختلف والمعطيات تبدلت.. وبذل الرجل جهدا مع رفيقه الاستاذ علي القصاص في محاولة فتح المدارس وعودة المدرسين وانتظام العملية التعليمية الى ان كان له ما اراد ربما بعد اكثر من عامين وكان يستعين ايضا ببعض المدرسين من قطاع غزة حيث امتنع عدد غير قليل عن العودة للعمل بنفس المنطق اي ان العمل هو نوع من العمالة مع المحتل ولدرجة انهم اطلقوا على انفسهم مجموعة الصامدين ولكن بعد ان طال المطال عاد معظمهم الى العمل...وبنفس الشغف الذي ملك قلب الاستاذ انيس للتعليم كان حبه للرياضة فقد شجع شباب كرة القدم على اقامة المباريات في الملعب الموجود امام منزله والملاصق لنادي الهلال والذي اصبح فيما بعد ارض المزاد وتباع فيه الاثاثات المستعملة القادمة من اسرائيل...وقد اطلق على هذا الملعب اسم ابنه الكبير "رضا" وظل معروفا بهذا الاسم لسنوات طويلة حيث كان يجلس على عتبة المنزل التي ترتفع قليلا عن الشارع على كرسيه الوثير يراقب المباريات وخلفه كمال الابن الاصغر المدلل والذي اصبح فيما بعد مديرا للبنك الاهلي بالعريش.. وابنته الجميلة لوريس والتي كانت تعرف بسامية ولم نعرف الاسم الحقيقي الا بعد ان اصبحت مدرسة ...وظل في هذا المنزل حقبة من الزمن ثم انتقل الى الدور العلوي لمقهى صالح زكري على الشارع العام ٢٣ يوليو... ولن انسى ان هذا الرجل برغم جديته الصارمة التي اعادت انتظام التعليم بعد النكسة في سيناء برغم الاحتلال وبمعاونة المخلصين الوطنيين.. الا انه كان خفيف الظل وصاحب نكتة وقفشة....اذكره لأنه ظل يكافح حتى عقد اول امتحان للثانوية العامة تحت الاحتلال وبتنسيق مع الصليب الاحمر الدولي١٩٧١ حيث تأتي الامتحانات مع مراقبين دوليين من

الامم المتحدة ويشرفون على اللجان في قطاع غزة وسيناء ثم يجمعون الاجابات ويعودون بالطيران الى القاهرة لتصحيحه ثم اعلان النتائج النهائية لتبدأ رحلة التنسيق في الجامعات المصرية والاعلان عنها والتي كانت تستغرق سنة كاملة ثم السفر عبر افواج من خلال الصليب الاحمر الدولي من قطاع غزة وسيناء الى القاهرة للالتحاق بالجامعات. في رحلة شاقة تستغرق ٣ ايام من المعاناة والتفتيش والاستجواب. لابد ان نترحم على هذه الارواح الطاهرة التي اضاءت لنا نورا في ظلمة ليالي الحرب وصنعت الحب في وسط ايام الكرب.. فسلاما على كل من علمنا حرفا حيا كان او في ذمة الله فهم اصحاب فضل لا يمكن رده مهما بذلنا من عطاء او اردنا ان نوفيهم حقهم ..

العم يعقوب الحلاق

معظم المهن الحرة في بلدتنا الصغيرة كانت من نصيب الوافدين من فلسطين بعد التهجير والنكبة الكبرى في ١٩٤٨ فمن يستأجر بيوتنا التي كانت مصدر الرزق الوحيد لنا بعد ان توفى والدي وتم تقسيم الارث بين ابنائه من الزوجتين كان من من نصيبنا عقارات مبنية بنظام الدور الواحد من الطوب النبي مثل سائر بيوت العريش الا ما رحم ربي فقد يكون البيت مبنيا بالطوب الاسمنتي ولكن السقف خشبي وعليه بلة من الطين المخلوط بالتبن والذي يتم تجديده بعد كل شتاء... مصطفى الصالحي تاجر خضار بالجملة يسكن احد البيوت...ابو نعيم تاجر خضار يستأجر دكان لبيع الخضار والفاكهة....ابو فتحي على المعاش وابنه سائق ..معظم المستأجرين ممن قدموا من فلسطين منهم من يعمل حداد او في اصلاح وابور الجاز او حلاق وان كان ميسور فيفتح بقالة او محل خضار او محل اصلاح احذية او على اقصى تقدير مطعم..هذا برغم انه في زمن الرئيس عبد الناصر كان يتم توظيف الفلسطيني من ذوي المؤهلات مثلما المصري تماما في دوائر الحكومة مع احتفاظه بجنسيته الفلسطينية وتصدر له بطاقة تموين ويدخل ابنائه المدارس والجامعات بنفس قواعد المواطنة واستمر الوضع قليلا في عهد الرئيس السادات الى ان تم الاعتراض على معاهدة السلام وقامت جماعة ضالة بتدبير مقتل الوزير يوسف السباعي في مطار لارناكا فور نزوله من الطائرة وهو في مهمة رسمية الى قبرص....وكان هذا فصل الخطاب في العلاقات المصرية الفلسطينية وبدأ التعامل معهم على انهم أجانب بعد ان احست القيادة السياسية انهم اصبحوا في اتجاه اخر وتيار اخر اسموه جبهة الرفض مع بعض دول عربية اخرى حيث حاولوا عزل مصر بعد معاهدة السلام وقامت جبهة الرفض بنقل جامعة

الدول العربية الى تونس....المهم وبعيدا عن السياسة كان عم يعقوب الحلاق الذي يتم اصطحابي اليه ليقص شعري ..اقرب الى الجزار منه الى الحلاق وكان يهددني بسلاح الموس الذي في يده وانني اذا لم اذعن له سوف يقطع اذني فاجلس على الكرسي مرتعدا وانا اراقب حركته عندما يترك المشط والمقص ويمسك الموس والذي كان يقوم يسنه حيث يمسك بطرف قطعة من الجلد تشبه الحزام مربوط طرفها بالحائط بيده اليسرى والموس الذي يشبه المطواة قرن الغزال بيده اليمنى ويقوم بسحبها مرارا على هذا الحزام الجلدي مثلما كان يفعل عم احمد الجزار تماما مع الفارق ان عم يعقوب كان يتمتع بسمنة التفاحة ووجه يبتسم بصعوبة ..اما عم احمد الجزار كان قصير القامة وبشوش ويميل دائما الى الضحك برغم انه يحمل حزاما على وسطه به كل انواع السكاكين...فهذه وقعة سودا ..بعد احماء الموس وبدء عملية ميل الرأس على الجهة اليمنى ومسك الاذن وثنيها بإبهامه الايسر وبدأ عملية تحديد الشعر فوق الاذن ومن خلف الرأس ثم يعيد الكرة من الجهة الاخرى ولا تنتهي هذه المعركة بدون خسائر فغالبا يتم عمل خريطة تشريحية يصاحبها نزول دماء فيقوم العم يعقوب بترك اسلحته ووضع كمية من كولونيا ٣ خمسات على مواضع الجروح فيشتعل الحريق في اكثر من موضع تحت تأثير السبيرتو "الكحول" الموجود في الكولونيا ثم يضع الفوطة التي مرت على كل رقاب العباد ليجفف اثار الماء...وطالما فك عقدة الفوطة المربوطة على صدرك فهذا معناه ان المبارة انتهت وعليك دفع مبلغ الخمس قروش فورا...وبالطبع لم يكن هناك وعي تغيير الموس بين كل حالة واخرى ولا تعقيم الفوط وكم من الفيروسات انتقلت بين البشر على ايدي حلاقين ذلك العصر ...وبرغم انك تكون ذاهب لتتجمل الا ان المعركة التي تدور رحاها على كرسي الاعتراف

كانـت تشـي بشـيء اخر...فطالمـا اسـلمت رأسـك للحـلاق فـلا تسـأل فلـيس هنـاك جـواب ولا صـوت يعلـو فـوق صـوت المعركـة...ووقتها وعيـت تمامـا لمـاذا كـان يبكي الاطفال عندما يذهبون الى الحلاق؟

لماذا غزة؟

عندما رفض العرب تقسيم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ واشتعلت حرب ١٩٤٨ بين العرب واسرائيل وكانت ندا النتيجة مخزية والتي تم على اثرها تهجير الفلسطينيين في الداخل والخارج فنزحوا الى معسكرات داخل قطاع غزة مثل البريج والنصيرات وجباليا ومعسكرات في لبنان مثل عين الحلوة وفي سوريا اليرموك وفي الاردن اربد والوحدات والزرقاء على سبيل المثال لا الحصر .... واصبحت الضفة الغربية تحت الوصاية الاردنية بالمقدسات الاسلامية وقطاع غزة تحت القيادة المصرية واصبح له حاكم عسكري خاص وادارة للحاكم العسكري لقطاع غزة... وعندما قام الزعيم عبد الناصر بتأميم قناة السويس حدث العدوان الثلاثي من بريطانيا وفرنسا واسرائيل في محاولة للضغط على مصر وتركيعها لإلغاء قرارها وتم احتلال قطاع غزة وسيناء ومحاولة احتلال بورسعيد ولكن التحام الشعب بالجيش بالمقاومة الشعبية حال دون ذلك ومن حسن الحظ ان الولايات المتحدة لم تكن موافقة على هذا العدوان وكان الاتحاد السوفيتي في اوج قوته وضغطوا على المعتدين لسحب قواتهم خلال شهرين...وعاد قطاع غزة كما كان ولكن ما كان موضع تساؤل دائم لي مع نفسي...لماذا جعلت مصر قطاع غزة وبالتحديد مدينة غزة منطقة حرة؟ واصبحت قبلة المصريين القادرين طبعا بعد الحصول على تصريح للسفر الى غزة وبعض رجال الدولة ليبتضع ما اراد من الاجهزة الكهربية ومستلزمات المنزل العصري وقتها في الوقت الذي كان فيه الاستيراد محظور تماما وكل شيء محلي سواء الاجهزة التي تنتظر دورك فيها لتستلم الثلاجة لبيت الزوجية ربما بعد ان يدخل ابنك المدرسة ...وكذلك كل مستلزمات البيت والملابس كلها صناعة مصرية...اما من يظفر بطقم صيني او اكواب اركوبال وملاعق وشوك

ستنالستين من غزة فقد نال شيئا عظيما والراديو الترانزستور الصغير المتنقل والذي يعمل بحجارة البطارية كان اختراعا في الوقت الذي كان فيه جهاز الراديو يشغل ركن من الغرفة فهو لا يقل عن نصف متر في ارتفاع ثلاثون سنتيمتر على الاقل...وناهيك عن الملبوسات والقماش اشكال والوان وخلافه....كل هذا موجود ومتوافر في قطاع غزة ونحن على بعد اربعون كيلومتر في العريش نشتهي فردة حذاء مستورد ونعيش على فتات ما يصل الينا عبر المهربين وربما من ملابس البالة وويل للمهربين مما اقترفت يداهم حيث يطاردهم جنود الهجانة على ساحل البحر والصول نجيب ورجاله داخل العريش...وقد يجتمع الباعة عصرا كل يعرض ما استطاع تهريبه في شارع جانبي من الشارع الرئيسي ٢٣ يوليو بالعريش في سوق صغير يسمونه سوق الكرتك ويقف على مشارفه نواضير فاذا رأوا رجال الحكومة انفضوا واختفوا في لمح البصر ...وسئ الحظ من يقع ضحية الحملة واكيد يرى النجوم في عز الظهر...لماذا؟ كنا محرومين ونعيش على هامش الحياة وبيننا وبين الفقر كونتراتوا "عقد" والجيران الذين هم لاجئين وبلا دولة يعيشون كمنطقة حرة...اكيد لا يوجد رد على السؤال...لذا كانت احلام السادات التي لم تتحقق وقالها لنا في سهل الطينة عندما ذهبنا معه نزرع الزيتون بعد معاهدة السلام...انه يحلم لسيناء بأن تكون هونج كونج الشرق وتكون ذات نظام اقتصادي خاص.. ربما كان يريد ان يعوضنا عن عقود الحرمان والجفاف...ومن الطرائف التي كانت في زمن المنطقة الحرة بغزة.. وحيث كانت نقطة الجمرك الرئيسية عند الريسة وهي منطقة بشمال العريش...فكان كل يومين يمر شاب بدراجته قادما من الريسة الى العريش ويحمل بيده او فوق رأسه صينيه بها رمال فيفتشونه ولا يجدوا شيء وبعدها بيومين صينية بها

رمل...بيب...بيب...وسع فيفتشونه فلا يجدوا شيء وبعد اسبوع هي نفس الصينية وبها رمل لا تتغير...بيب.. بيب.. وسع وسع ... واحتاروا في امره وظنوا انه به بعض الخلل...ولكن بعضهم دفعه الفضول فاخذوا يتتبعون مساره شهورا طويلة الى ان اكتشفوا انه كان يهرب في كل مرة دراجة بنفس المواصفات وعندما قرروا القبض عليه دفع جمرك الدراجة التي كان يركبها واللي فات مات ...وهم كل تركيزهم في الصينية ومحتوياتها فيقتلونها تفتيشا ويكادوا يخلعون ملابسه....لم يستطع احد ان يجيب عن لغز غزة الذي استمر كذلك منذ ١٩٤٨ حتى حرب يونيو ١٩٦٧ حيث تم احتلال قطاع غزة وسيناء بالكامل فاصبحنا في الهوى سوا مع الفارق ..غزة مدينة بمعنى الكلمة ونحن اقرب الى القرية واكثر مبانيها بالطوب اللبن...حزنت الان على غزة بعد ان دمرها العدو الصهيوني اثر حرب طوفان الاقصى فأعادها الى القرون الوسطى.. ولكن هيهات فان من يسكنها قوم "جبارين"

مارس ٢٠٢٤

سد الوادي

عندما تبدأ رياح الصيف وتبدوا في الافق سحب الامتحانات كان يحلوا للكثير من ابناء جيلي الخروج للمذاكرة خارج الحوائط الاربعة وكل حسب موقعه الجغرافي فمن كان يسكن بجوار الكثبان الرميلة "البطين" يخرج عصرا حيث تنكسر اشعة الشمس ويجلس تحت شجرة يحدق في الفضاء اللانهائي ويحدث نفسه او يقرأ كتابه بصوت مسموع.. ومن يكن على مقربة من شاطئ البحر يجد تحت اشجار النخيل متسعا وسبيلا ولا مانع ان يتسلى ببعص البلح الغير ناضج "الخميم" ولما كان النخيل العلامة الابرز لشاطئ العريش قبل ان تغزوه جحافل الخرسانات المسلحة التي شوهت الطبيعة ودمرت الجمال الرباني الذي كان يتجلى في عظمة الخالق انه كيف تنموا اشجار النخيل التي تثمر بلحا ورطبا جنيا على شاطئ البحر المالح "الابيض المتوسط" وهو ما كان يميز شاطئ العريش وان كان هناك بعض البقايا مازالت ناحبة الشمال ...والفريق الثالث كان يجد ضالته على سد وادي العريش والتعبير هنا مجازي فهو ليس سدا.. وانما تكسيه خرسانية كانت من الجهة الجنوبية لوادي العريش وبطول المدينة وموازية للمصب الى ان تصل الى شاطئ البحر لتمنع مياه الوادي الذي تتجمع فيه حصيلة مياه الامطار على جبال وسط سيناء وتظل تنحدر وتلتقي في وادي العريش والتي قد تكون قوية عفيه فتندفع بقوة سريعة وعلو كبير فتجتاح الاخضر واليابس في طريقها وتقذفه في داخل البحر فاذا ارتفع معدلها تقوم هذه الصدة الخرسانية بمنع المياه من التدفق الى بيوت المدينة وان كانت قد فشلت في ذلك مرات.. فاذا جاء سيل الوادي قليلا فهو كفيل بتدمير الزراعات الموسمية والابار التي كان يقتات منها بعض سكان هذه المنطقة وكانت تسمى عذبة مليم وربما يكون الاسم دليل على شدة الفقر...اما اذا جاء

السيل "الماء المتدفق" عاليا فهو كفيل بتخطي ذلك الرصيف الذي كنا نسميه سد الوادي ليدخل البيوت ويدمر محتوياتها ويقطع الطريق بين شمال المدينة وجنوبها وفي اخر نوبة سيول وصل الى مستشفى العريش العام واحدث بها تلف جسيم في ٢٠١٠...على هذا الرصيف "سد الوادي" كان ملتقى الاصدقاء الدحيحة.. فنقطعه جيئة وذهابا في وقت العصاري وامامنا في بطن الوادي الخصيب حبات سنابل الشعير التي كنا نقطفها احيانا ونتسلى بها والبرسيم الاخضر وبشاير الدرة النيلي وبعض انواع الخضار والتي تفصل بينها حواجز من جريد النخل الناشف لتحديد الملكيات ويتوسط كل مربع ارض بئر عليه شادوف حيث يقف المزارع على حافة البئر يدلو بدلوه الى قاع البئر ليملأه ويرتفع بفعل الثقل الموجود بالطرف الاخر من الشادوف وغالبا ما يكون صفيحتان مملوءتان بالخرسانة المصبوبة ..ويسقي زرعه عبر قناة مصنوعة من جذع النخيل حيث تتخذ شكل نصف دائري بعد تفريغ محتواها ويصب الماء في طرفها ليتدفق الى القنوات التي سبق اعدادها بين الزراعات...ومن المتعارف عليه ان اسمها الساقية وهي ليست كسواقي الفيوم ولا كالتي يستخدم فيها الابل او البهائم...فهي سواقي يدوية...كنا نرى هذه المناظر الطبيعية ونحن اما متحركين نفتح الكتب ونقرأ اثناء السير... فالفضاء فسيح ومتسع ولن تتعثر وعدد السكان قليل فمعظم اهل سيناء قد هاجروا اثناء الحرب "يونيو ١٩٦٧" ومن تبقى تستطيع ان تحصيه في يوم وليلة.. او جالسين على اعلى رصيف السد لالتقاط الانفاس...ولا مانع من لقاء بعض الاصدقاء، والزملاء، والمناقشة، والمراجعة.. او حتى بعض اللهو واللغو.. ولكن المهم من يفوز في النهاية هل انجزت ام ضيعت يومك هدرا ...وعند الامتحان يكرم المرأ او يهان...ولا لا يا ريم وادينا حلمك والله علينا...فلم يكن على ضفاف هذا الوادي

مكانا "للغزلان" فمن ناحية سد خرساني ومن الجانب الاخر بيوت من الطوب اللبن قد يطيح بها السيل فيسيح اهلها في العراء، ولكنهم دوما بسطاء حامدين شاكرين في السراء والضراء...

نظرات الجوع

على الجانب الاخر من شارع ٢٣ يوليو وهو الشارع الرئيسي الوحيد في مدينة العريش قبل نكسة يونيو ١٩٦٧ كانت جمعية تحفيظ القران وحيث يقع بيتنا القديم امامها كنت ارى جموع الفقراء والمعدمين في شهر رمضان عصر كل يوم يجتمعون امام الباب الحديدي كل يحمل وعائه منتظرين توزيع ما تجود به خزانات "حلل" الطهي التي كانت خلف سور الجمعية تمتلئ بأنواع الطبخ واللحوم ويقف عليها رجال غلاظ شداد يحملون مغارف طويلة للأيدي الممتدة من خلال اسياخ الباب الحديدي والذي لا يسمح بفتحه او اختراقه ويزداد الزحام والصراخ الى ان تنضب الاواني ومنهم من ينال ما تيسر ومنهم من يعود بخفي حنين وربما باكيا ...كنت اراقب هذه اللوحة الحزينة ويرق قلبي بل ويتمزق لبكاء سيدة او لدمعة طفل وانا مازلت طفلا واود لو اني املك العالم لأعطي لهؤلاء الجوعى ما يسد رمقهم...صحيح لم يكن يسر الحال عنوانا لبلدتنا ولكن ربما كان الستر هو الغطاء الذي يتدثر به معظم ساكنيها مع القناعة بما تيسر...مازالت هذه اللوحة تخترق التاريخ وتمثل "بضم الشاء" امام ناظري...وهالني انني رأيتها تتكرر وبنفس الشكل مع اطفال غزة بعد طوفان الاقصى واعتصر قلبي الالم وانا ارقب عيون الاطفال الذين لم ينالوا حظا من الطعام في وسط الزحام وامام نفس الابواب الحديدية للتكايا فمنهم من فقد اباه او امه او كلاهما وربما كل اسرته ويهيم في الشوارع يبحث عن طعامه تحت الرصاص قي مأساة لا يمكن ان تكتب الاقلام فصولها ولم يستطع احد في كل العالم قويه وقويه ان يوقف هذا الظلم والقتل ونحن في الربع الاول من القرن الواحد والعشرون وكل دول العالم تحمل لواء حقوق الانسان وتعقد المؤتمرات والندوات والمجالس الاممية ولكن تظل اسرائيل خط احمر تفعل ما تشاء وتعيث

فـي الارض قـتلا وفسـادا ولا يسـتطيع كـائن مـن كـان لجمهـا...ولكن هـذه اللوحـة السوداء التـي تجلت فـي زمـن الحـرب علـى غـزة ربمـا لـم تمـر علـيهم مـن قبـل وتكـاد تلقـي بظلالهـا فـي وقـت الحـرب فقط...ولكننـي عايشـتها فـي مـدينتي الحزينـة الفقيـرة فـي زمـن السـلم فـي السـتينات فـاذا كـان للحـرب عـذرها فمـا عـذر السـلم...نعم الفقـر موجـود فـي كـل زمـان ومكـان ولكـن العـوز والجـوع ونظـرات العيـون التـي تشـتهي لقمـة العـيش والتـي تتـرجم صـوت الامعـاء الخاويـة تختـرق بسـهامها القلـوب حتـى القاسـية منها....هكـذا كانـت تعـيش مـدينتي بـل وسـيناء قاطبـة سـنوات عجـاف لا مـوارد رزق ولا زرع ولا ضـرع ..لا مصـانع ولا مرافـق ..قليـل مـن النخيـل يطـرح ثمـره كـل عـام وبـدرة شـعير تنـتح محصـولا يـتم جمعـه فـي طقـس سـنوي يسـمونه الحصـيدة ينمـو علـى زخـات المطـر وقليـل مـن الحـلال ترعـي بـين جنبـات الوديـان منهـا اللـبن ومنهـا اللحـم مـرة فـي العـام فـي عيـد الأضـحى لمـن اسـتطاع اليهـا سـبيلا وبعـض المـوظفين وثكنـات الجـيش التـي يعـيش علـى مخلفاتهـا بعـض القطعان...هـذه باختصـار سـيناء فـي السـتينات كمـا رأيتهـا وعشـت فيهـا والافـراح نـادرة والاحـزان ممتـدة وتصـل الـى اربعـين يومـا تقريبـا علـى مـن يرحـل لا يفـتح فيهـا راديـو ولا تقـام الافـراح لسـابع شـارع ولحـول مـن الزمـان لـو كـان الفقيـد مـن نفـس العائلة...حياة جافة كجفاف صحرائها فما بالك بحال فقرائها...

فبراير ٢٠٢٤

طاسة الخضة

لم تكن الامراض النفسية مدرجة على قائمة الطب في سيناء الا اواخر القرن الماضي فالمريض النفسي هو من فقد عقله فقط "المجنون" وبناء عليه كانت التشخيصات اما ملبوس او اصابه مس من الجن او مخاوي او متزوج جنية او اصيب بحالة من الفزع او الهلع "،الخضة" او معمول له عمل وفي هذه الرقعة الاخيرة حدث ولا حرج...فمن الطواف بالشيوخ الى قارئات الفنجان الى ذبح القرابين وزيارة الاولياء وطريق لا ينتهي... وتعددت اشكال العلاج لكنني كنت ارى طوق نحاسي ذو رقبة علوية وقاعدة ويوجد في نهاية الرقبة ثقوب مثبت فيها حلقات رقيقة من النحاس اكبر من العملة المعدنية بقليل وهي في حجم كوب المياه الكريستال وكانت امي الحاجة وهيبة " ياسمين" تحتفظ بها في كيس من القماش وتضعها في داخل الخزانة حيث تحتفظ بأكواز "جمع كوز" وكان يسمى " المجمع" ربما لأنه يجمع محتويات هامة وهو من الحديد تلك الخزانة داخل الحائط السميك و لها باب خشبي كباب الشباك من ضلفتين ...وكانت تضع بداخلها الاوراق الهامة مثل حجة البيت وارض النخيل وعقود الشراء والبيع التي كان ابي يتعامل بها قبل وفاته...المهم ان هذه الخبيئة النحاسية كانت تسمى طاسة الخضة ومن يستعيرها يضعها في الماء طوال الليل ثم يستحم بهذا الماء ليزول عنه الاذى الذي اصابه والذي نتج عن الخضة كما كانوا يعتقدون وذلك علي مدار ثلاثة أيام ومنهم من كان يبرأ بأذن الله وليس من الماء بالطبع ولكنها عملية نفسية وربما يكون تأين المياه في وجود النحاس قد اثر في تكوينها ....ولكن من المؤكد انه المعتقد والايحاء النفسي يلعبان دور كبير....واصبح الحديث عن الاستحمام عن طاسة الخضة حديث العامة فيما بعد كنوع من المزاح لكل من فوجئ بشيء ما لم يتوقعه....اما انواع الشربة

التـي كنـت اسـمعها فكانـت تتـأرجح مـا بـين شـربة زيـت الخـروع لمـن يعـاني مـن اضـــرابات القولـــون او الامســـاك المـــزمن وبصـــرف النظـــر عـــن تشـــخيص السـبب...او شـربة الملـح للأطفـال الـذين يعـانون مـن اشـتباه وجـود ديـدان فـي الامعـاء فهـذا هـو عـلاج الجهـاز الهضـمي او شـربة الشـيح مـع البـابونج لتنظيـف الجهـاز الهضـمي وكـان الـبعض يتنـاول هـذا المشـروب شـهريا وبطريقـة روتينيـة ...امـا مغلـي ورق الجوافـة فهـو المشـروب المعتمـد للكحـة مـع وضـع ورق الجرائـد المبلـل بالزيـت علـى الصـدر مباشـرة تحـت الملابـس ولا تسـألن عـن السـبب... وربمـا اتضـح فيمـا بعـد ان هنـاك مشـروب طبـي للسـعال مصـنوع مـن ورق الجوافـة بعـد نصـف قـرن تقريبـا ...لكـن حتـى الان لـم يكتشـف العلـم الحـديث سـر الجورنـال المزيـت!!!..... امـا الليمـون وفوائـده اعتقـد انـه مـازال يعـيش معنـا حتـى اليـوم تـارة كمشـروب واخـرى كقطـرة فـي الانـف او دهـان الجلـد بنصـف ليمونـة لخفـض الحـرارة او لنـزلات البرد...وكـل مـا كـان يطلـق عليـه الطـب العربـي او الطـب الشـعبي اعتقـد انـه مـوروث ثقـافي فـي كـل انحـاء مصـر مـع اختلافـات بسـيطة لتعطـي كـل مكـان بصـمته وخصوصـيته....لكن السـواد الاعظـم فـي علـم الخرافـات الطبيـة كـان فـي عـلاج الامـراض النفسـية والتـي يعـيش علـى ريعهـا نفـر مـن الـدجالين والمشـعوزين وبعـض مـن يسـمون انفسـهم الشـيوخ وبعـد ان يكـون المـريض اسـتهلك نفسـيا وماديـا ومعنويـا يفكـرون فـي الـذهاب الـى طبيـب نفسـي...حيث ظـل هـذا اللجـوء الاخيـر وكأنـه وصـمة عـار..فمجرد ان تصـف لاحـدهم الـذهاب الـى طبيـب نفسـي..فيرد باسـتنكار هـوة انـا مجنـون...اذن مـن الافضـل ياسـيدي ان تسـتحم بمـاء طاسـة الخضـة ...وامـي بتسـلم عليـك وبتقولـك عـايزين طاسـة الخضة...ماشـي تفضـل بس اوعى تنسى ترجعها ...حاضر

سر الشاشة السوداء

كان الزي الاغلب الاعم عند سيدات الستينات في مدينتي" العريش" هو الجلابية الطويلة وعليها الملايا اللف السوداء والتي تغطي السيدة من الرأس حتى الكعب ولا يسمح للملاية ان تنساب للكتف كما في بعض بلاد البندر ولا تظهر منها خصلات الشعر حيث تضع السيدة على رأسها قرطة وتعلوها شاشة...وكان هذا هو الزي الرسمي للسيدة وهيبة "ياسمين "امي ولا تغير المظهر الخارجي مطلقا فالملاية سوداء تخرجها من الدولاب حيث تضع بداخلها ثمرة الحنظل وهي ثمرة مرة لا تؤكل ولكنها تعطي الملابس رائحة خاصة وهذا هو نوع "البرفان" الذي تستخدمه و ايضا تمنع العتة...وحذائها الاسود والذي يصلح للأفراح والاتراح والقرطة البيضاء والشاشة الحرير السوداء والتي كانت تعتز بها جدا وتلبسها وفي المناسبات وهي شفافة وناعمة.. وفقط تغير لون الفستان"الجلابية" حسب المناسبة فالغامق لو كانت المناسبة عزاء والفاتح لو كانت فرحا او مناسبة سعيدة او زيارة مودة...اما الشاشة السوداء فكانت مصدر سعادتها فعندما سألتها عليها ولماذا تصر على ارتدائها في المناسبات فأجابت بابتسامة انها هدية ابيك لي عندما عاد من بلاد الحجاز...ياااه يامة انت لسة فاكرة...الله يرحمه طبعا ذاكرتي سجلت ذلك لأني كنت اصاحبها كظلها في البيت وخارجه...كم كانت الاشياء بسيطة والقلوب بيضاء عامرة بالقناعة...سنوات وسنوات مرت على رحيله و رحلة الحج كان قبلها بعقد من الزمان وهي مازالت تحتفظ بالشاشة السوداء وترتديها في المناسبات...ربما كان هذا حبا او ربما كان وفاء..فكيف ترجمت مشاعرها مع نفسها وهي الزوجة الثانية وقد ترك لها ستة من الابناء مابين تحت العشرين الى العبد لله اقل من سنتين مع مسئولية تنوء من حملها الجبال..ولكن شكل

ولــون الحيــاة كــان مختلفــا ويحــتم علــى الارملــة ان تحمــل همهــا فــي قلبهــا ومسـئوليتها علــى كتفهــا وتــدبر امورهــا لتمضــي الحياة...هــذا لــم يكــن يمنــع ان بعــض الشــابات يرتــدين الفســاتين الطويلــة ويتبــاهين بشــعورهن الطويلــة وديــل الحصــان او قصــة شــادية اذا كــانوا مــن الموظفــات فلــم يكــن الحجــاب قــد وصــل الــى مصــر كلهــا لا صــحرائها ولا قراهــا فأقصــاها شاشــة خفيفــة علــى الــرأس والشــعر منسـدل تحتهــا وذلــك قبــل الغــزو الوهــابي الــذي جعــل نجــوم المجتمــع هــم المشــايخ واصـــحاب التفاســـير وانطلقـــت بعـــدها موجـــات التكفيـــر والجماعـــات الســـلفية والاخوانيــة والتكفيريــة وكأننــا كنــا مــن قبــل نعــيش فــي زمــن الجاهليــة وفجــأة ظهــر الاســلام الــذي ركــز علــى فصــل البنــين عــن البنــات فــي المــدارس والجامعــات... والــزي فــي الحجــاب والتزيــد بالنقــاب وخلــع بعــض الرجــال البــدل والبنطــال واصــبح الــزي الرســمي هــو الجلبــاب وحبــذا لــو كــان قصــيرا... واصــبح التحــريم ســيد الموقــف فــي كــل صــغيرة وكبيــرة وانقلبــت الحيــاة رأســا علــى عقــب والحــديث فــي التفاصــيل يحتــاج الــى كتــاب منفصــل ربمــا يــأتي قريبــا...لكن الخلاصــة ان وهيبــة لــم تكــن سـلفية ولا اخوانيــة ولكنهــا كانــت عفويــة ومحتشــمة بزيهــا ولكنهــا لــم تفــرض الحجــاب علــى اختــي فقــد تركتهــا تعــيش حياتهــا مثــل بنــات جيلهــا ..وعاشــت هــي تحــتفظ بالشاشــة الحريــر الســوداء وســجادة خفيفــة عليهــا رســومات بيــت الله الحــرام اتــت بهــا هــي مــن الحجــاز كانــت دائمــا توصــيني ان اغطــي نعشــها بهــا وقــد نفــذت وصــيتها يــوم وداعهــا الاخيــر الــى رحمــة مولاهــا فــي يــوم لــم ولــن يغيــب عــن ذاكرتي...

فارس عبر الحدود

اسست اسرة محمد علي في مصر سلاح الفرسان وكان من حظ النبلاء وابناء الامراء ثم انضم اليه نخبة من صفوة الضباط وتم تغيير الاسم بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ الى سلاح المدرعات وقد اشتهر سلاح الفرسان بعد ازمة فبراير ١٩٥٤ حين قدك محمد نجيب استقالته واذاعها صلاح سالم وقبلها مجلس قيادة الثورة ورفضها سلاح الفرسان من خلال ممثلهم في المجلس خالد محي الدين ورفضها رهط من الجماهير خرجوا الى الشوارع فيما عرف بازمة مارس ١٩٥٤... ليظل اسم الفرسان رمزا للنبل والانسانية ويكفي ان تعرف ان الممثل القدير الوسيم احمد مظهر كان احد رجاله والكاتب الرومانسي واحد فرسان القلم والذي اصبح وزيرا للثقافة يوسف السباعي صاحب" رد قلبي" وبين الاطلال ...وقد توارثت الاسر المالكة وحتى الجمهوريات التي كانت ملكية في اوروبا لقب فارس في صورة وسام ملكي تمنحه الى من يتوسمون انه يستحق هذا الشرف الرفيع..من الذين سجلوا في تاريخ اوطانهم نقشا على جدران الانسانية وسطروا بفعلهم صفحات من النبل البشري..فاغترفوا من الحياة فيض من المشاعر الرقيقة وصهروها في بوتقة الحب اللانهائي وطرحوا اريجها على الطرقات لمن يستحق ومن لا يستحق دون استثناء فلافرق عندهم بين البشر فالكل في حب الحياة سواء ومادون ذلك خواء...هكذا يبدرون بذور الود في كل ارض لتنبت اشجارا وارفة من النقاء والصفاء...هم وقود قنديل يضئ طريق الاخرين بزيت لا ينضب وكأنه اتى من شجرة مباركة...هم نبع يتدفق ماؤه فيفتح خلجان تنبت نخلا صنوان وغير صنوان تسقي العطشى في كل زمان ومكان...هم الفرسان الذين يحملون مشاعل النور ليضيؤا طريق الحق بلا صولجان...من بين هؤلاء يختارون انسان ليمنحوه هذا الوسام ..من بين

العـاملين الصـامتين المحبـين للبشـر والحجـر والـورود والجمـال والقلـوب وكـل بنـي الانسـان...تعلوا وجـوههم السـماحة وشـفاههم الابتسـامة وجبيـنهم واحـة امـان لمـن خفـق قلبـه واجفـا فاستكان...صـديقي يسـري الكاشـف ابـن مـدينتي البسـيطة الحزينـة "العـريش" تركهـا منـذ اكثـر مـن اربعـة عقـود حالمـا بعـالم اخـر بعـد ان طحنتـه الحيـاة والغربـة فـي زمـن الاحـتلال فعـاش وحيـدا فـي معسـكرات الشـباب بـلا اهـل ولا وطـن تضـربه ليـالي القـاهرة وتسـحقه الـة الـزمن فالأسـرة فـي الارض المحتلـة فـي سـيناء الحبيبـة ويرفـع رأسـه ليجـد والـده سـجينا فـي غياهـب سـجون الاحـتلال الاسـرائيلي بعـد حـرب اكتـوبر ١٩٧٣ هـو وثلـة مـن الرفـاق حيـث كـانوا ابطـال خليـة اللاسـلكي التـي جعلـت سـيناء كتابـا مفتوحـا امـام القـوات المسـلحة قبـل عصـر الاقمـار الصـناعية...ثم تشـاء الاقـدار ان يسـتقبل ابـاه بعـد الانتصـار والافـراج عنـه فـي صـفقة تبـادل الاسـرى وبعـدها بسـنوات تعـود سـيناء بعـد معاهـدة السـلام ليراهـا مـن جديـد ولكـن لـم يمـض فيهـا عهـدا بـل فقـط حضـن اللقـاء ثـم سـفر طويـل الـى الـوطن الثـاني الجديـد... هولنـدة والـذي منحـه اليـوم ارفـع وسـام ملكـي "بدرجـة فـارس"ليتوج بـه رحلـة طويلـة امتـزج فيهـا العمـل بـالالم والامـل ودمـوع الفـراق بفرحـة اللقـاء وعقبـات كئـود ونجاحـات سـجلتها صحائف..اسـتحق عنهـا هـذه الجـائزة الكبرى...فهنيئـا لنـا بهـذا التتـويج ..ومـا اجمـل ان يكـون لـك صـديقا علـى الجانـب الاخـر مـن ذلـك البحـر المتوسـط الكبيـر ويطـل برأسـه علـى المحـيط يلـوح بكلتـا يديـه اقبـل ههنـا نحـن يـا صـديق العمـر نرفـع رايـات الشـرف والنبـل والخلـق القـويم ههنـا الفرسان...يضـحك لهـم الزمـان...فلم يفـت يـا صـديقي الاوان ..نعـم فـي بـلاد "الفرنجة" يعرفون قيمة الانسان...

البوليس الدولي

في مكان متميز وعلى مقربة من شاطئ النخيل بالعريش وعلى بعد خطوات من محطة السكة الحديد حيث كان القطار يمر موازيا للشاطئ على ساحل المدينة ..كانت هناك عدة مباني مطلية باللون الابيض ومحاطة بأسوار بعضها مبنية من الطوب والخرسانة وبعضها من السلك المزدوج بارتفاع الحائط..هذه المباني كانت تسمى الكارنتينا في زمن الانجليز حيث كانت مستشفى ممتد ومطل على الشاطئ من مكان علي ومعنى الكلمة هو حجز المرضى المشتبه بإصابتهم بأمراض معدية حتى زوال خطر العدوى اي مستشفى عزل ثم تم تعديل هذا المبنى ليصبح سكنا لقوات الطوارئ الدولية بعد انسحاب القوات الاسرائيلية من قطاع غزة وسيناء عام ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثي..وكان العامة يسمون هؤلاء الجنود القادمون من كل بلاد الغرب ...البوليس الدولي ولاشك ان اشكالهم وبشرتهم كانت مختلفة ولكنهم كانوا في معسكرهم الممتد اكثر من كيلو متر طولا ونصفه عرضا الى جوار ملاعب التنس والطائرة وملعب كرة صغير..كانوا في مدينة شبه مغلقة فكل احتياجاتهم اما يتم تحضيرها داخل المعسكر او تأتي لهم عبر مطار العريش ويعتمدون على بعض قليل من العمالة المحلية...فمن يفوز من العاملين بلوح شيكولاتة مستورد فقد حقق اكثر امنياته في الحياة وكان بعض رعاة الغنم يعيشون هم واغنامهم على مخلفات البوليس الدولي ويسمونه "رابش" وهو تعريب للكلمة الإنجليزية اما نحن وبالطبع قبل حرب ١٩٦٧ عندما كنا نمر بجوار السلك لنرى عن بعد تلك الالعاب الغريبة فنحن لانعرف الا كرة القدم وربما الطائرة لكن التنس الارضي وكرة السلة فلم تكن قد وصلت الينا ...حتى التليفزيون الذي دخل مدينتنا في الميادين العامة لم يكن ينقل الا ماتشات كرة القدم....وبالتأكيد امه داعياله الذي يسمح

لـه بـان يـدخل هـذا السـور ليجمـع الكـرات للاعبـين فتكـون مكافأتـه عصـير لـم يـراه مـن قبـل او مثلثـات الجبنـة النسـتو الفـاخرة مـع نـوع مـن الخبـز لـم تـراه عـين مـن قبـل فهـو لا فينـو ولا بلـدي وعرفنـا بعـد زمـن انـه بجاتو..هـذا هـو الفـوز العظـيم وربمـا يهـدون احـدا منـا كـرة "كفـر" بفـتح الكـاف والفـاء... اي كـرة قـدم بعـد ان يلعبـوا بهـا مـاتش او اكثـر فتكـون هديـة ثمينـة ربمـا تتوارثهـا الأجيال...وكـل مـا هـو غريـب تـراه متـداولا فـي بلـدتنا يقـول لـك صـاحبه انـه مـن البـوليس الـدولي..كل هـذا فـي زمـن الانغـلاق فـلا يوجـد مـا يسـمى مسـتورد فكـل شـيء فـي مصـر محلـي ولـذلك كـان تهريـب البضـائع المسـتوردة مـن غـزة حيـث المنطقـة الحـرة مـن مسـتلزمات البيـت الحـديث مـن اطقـم الصـيني ومعـدات وادوات الطعـام تعتبـر تجـارة رائجـة..وان كـان اصـحاب الحظـوة يركبـون القطـار مـن القـاهرة ويصـلون الـى غـزة ويشـترون مـا يـروق لهـم ويعـودون ومـنهم مـن يـدفع دراهـم معـدودة كجمـارك ومـنهم مـن لا يـدفع مسـتخدما سـلطاته...فلم تكـن لهـذه البلـدة الفقيـرة وهـي جـزء صـغير مـن سـيناء اي مـورد رزق الا مـا يرشـح مـن غـزة كمـا لـو كانـت القنطـرة فـي زمـن بورسـعيد "المنطقـة الحـرة"، او مـا تجـود بـه قـوات البـوليس الـدولي فـلأول مـرة نـرى الريكـوردر ذو الاشـرطة الموضـوعة علـى بكـرات والتـي تسـجل الحفـلات مـن الاذاعـة فـي بيـت جنيـد الحلـو حيـث كانـت كبينتـه علـى البحـر فـي منطقـة الريسـة علـى مقربـة مـن ارضـنا المزروعـة بالنخيـل والتـي نـأوي اليهـا صـيفا لجمـع ثمارهـا وجريـدها وكـان الرجـل يعمـل مسـاعدا لطبيـب الاسـنان التشـيكي حتـى اصـبح اكثـر مهـارة منـه وافتـتح معمـل اسـنان لنفسـه وكـانوا اهلنـا قـد منحـوه لقـب دكتور...وماعـدا ذلـك بعـض المـوظفين فـي مرافـق الدولـة...فلا مصـانع باسـتثناء مصـنع لزيـت الخـروع والـذي لـم يكتمـل نظـرا لنشـوب الحـرب ولا مـزارع الا بعـض بيـارات رفـح للبرتقـال ومـزارع التـين الشـوكي العشـوائية والتـي كـانوا يزرعونهـا كأسـوار تمنـع دخـول

الماشية وغيرها الى البيوت الخلوية او مزارع التين والزيتون الصغيرة....ولاشك ان من كان يعمل مع قوات الطوارئ الدولية اكتسب مهارة اللغة سواء الانجليزية او الفرنسية ومنهم من اثقلها بالاطلاع وكانوا يقومون بتدريسها بعد حرب يونيو ١٩٦٧ حيث هاجر نفر غير قليل من اصحاب المهن سواء ممن كانوا مغضوب عليهم فأرسلهم حظهم العاثر لسيناء فهي عقوبة كما النقل الى الصعيد...او حتى من ابناء سيناء الذين فروا تحت وطأة النيران... ولكن ما كانت نفسي تتوق اليه ليست الكرة "الكفر" ولا مثلثات النستو ذات الرائحة الشهية ولا رائحة الخبز التي كانت تخترق كل خلايا الجمجمة...كنت اتمنى ان اجلس امام تلك الماكينة العجيبة التي تدور فيظهر على حائط كبير ابيض صور متحركة لرجال ونساء وبيوت وصوت ينبعث لا ادري من اين ويجلسون امامها مساء يتابعون ما يدور..وطبعا كان باللغة الانجليزية وانا ارى هذا عن بعد واتمنى ان ادخل واجلس حتى بين الكراسي لأرى هذا العالم الاخر العجيب والذي عرفت بعد زمن طويل انها ماكينة السينما وان هذا هو الفن السابع...فلم نكن نعرف من الفن الى ما يبثه الراديو الكبير القابع هناك على شباك غرفة المندرة...